رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

العدد (2546) السنة التاسعة - الاربعاء (25) تموز 2012 WWW. almadasupplements.com

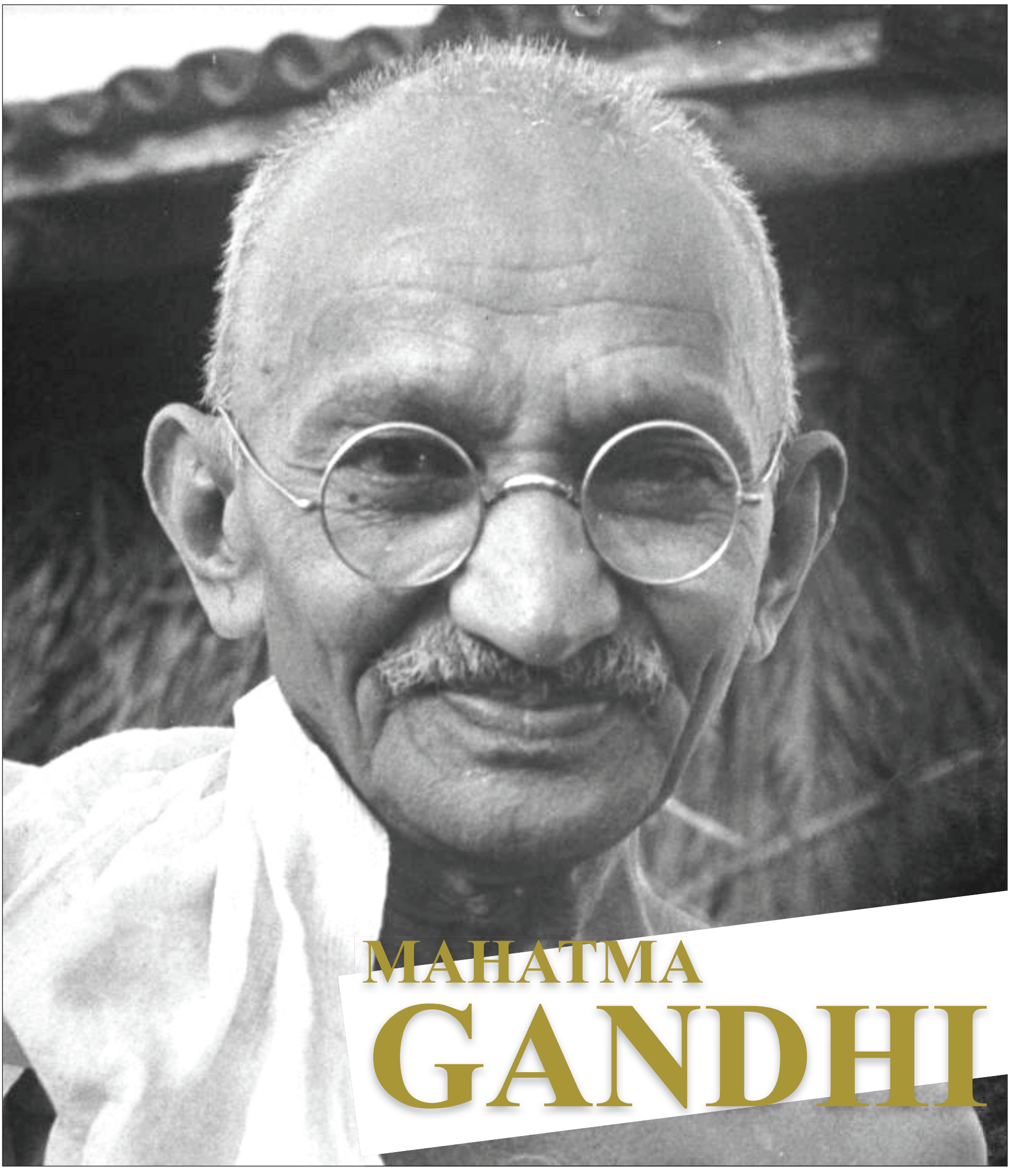

MAHATMA GANDHI

قضى حياته يحث على التسامح ونبذ العنف فمات مقتولا

ولد موهنداس كارامشند غاندي في ٢ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٨٦٩، في مدينة بوربندر وعاش فيها حتى السابعة من عمره، وهو الابن الأصغر لوالده من زوجته الرابعة، وينتمي إلى طائفة بانيا.
التحق غاندي بجامعة «سامالداس» في بهافناجار، لكنه عجز عن مجاراة أسلوب الحياة فيها فعاد إلى بيته، فأشار عليه أصدقاء العائلة أن يسافر إلى لندن لدراسة القانون، وبعد تردد طويل أبحر في سبتمبر (أيلول) عام ١٨٨٧ من مدينة بومباي قاصداً لندن، ثم عاد إلى الهند بعد أربع سنوات بعدما أتم دراسته القانونية، وافتتح مكتباً للمحاماة، لكنه لم يوفّق فيه.

اعداد / منارات

تلقى غاندي دعوة من شركة تجارية في مسقط رأسه لكي يسافر إلى جنوب إفريقيا ليتولى الدفاع عن الشركة في قضية لفرعها هناك، فسافر في أبريل (نيسان) عام ١٨٩٣ ليقضي بها قرابة سنة حتى تنتهي القضية، لكن السنة امتدت إلى عشرين سنة.

في جنوب إفريقيا لمس غاندي التمييز العنصري بشكل بشع، ومعامَلة غير البيض، بمن فيهم الهنود، بأنواع الازدراء والإهانة كلها. وعندما توجّه الى المحكمة لحضور جلسة لقضيته كان يضع فوق رأسه عمامته، فأمره القاضي بنزعها فترك المحكمة فوراً، وبعد بضعة أيام كان يستقل القطار إلى بريتوريا ومعه تذكرة في الدرجة الأولى، فحضر المشرف على القطار وطلب منه المغادرة فوراً والذهاب الى حيث يوجد الملوّنون. كذلك اعتدى عليه الكمساري الأبيض وأهانه، وكان موظفو القطار البيض ينادونه بلقب «ساتي» وهو لفظ ازدراء ينادي البيض في جنوب إفريقيا الجالية الهندية به، وكانوا يطلقون على الهنود لفظ «كولي» ومعناها في الهند الشيال الأجير، لذا أطلقوا على غاندي المحامي الكولي. فلمس غاندي عن قرب ما كان يتعرض له الهنود من إهانات في مجتمع جنوب إفريقيا العنصري.

بعد انتهاء حرب البوير عام ١٩٠١، عاد غاندي إلى بومباي ليعمل في المحاماة، لكنه لم يستمر فيها سوى بضعة أشهر فعاد إلى جنوب إفريقيا في أواخر سنة ١٩٠٢ بناء على إلحاح الجالية الهندية.

وجد غاندي أن أحوال الهنود في مقاطعة الترنسفال، التي أصبحت مستعمرة بريطانية بعد هزيمة البوير، ساءت كثيراً، فقد زادت القيود المفروضة على الملوّنين، واشتدت الرقابة على الهجرة، فأصدر غاندي صحيفة أسبوعية عام ١٩٠٣ لتكون صوت الهنود وتعبّر عن مشاكلهم، اسمها «الرأي الهندي»، ثم انتقل إلى جوهانسبرج للإقامة فيها.

كانت حكومة الترنسفال عام ١٩٠٦ تعتزم إصدار تشريع لفرض رقابة على تنقلات الهنود في أراضيها، ومن بين ما تضمّنه إلزام كل هندي بلغ ثماني سنوات بأن يسجل بصمات أصابعه ومعاقبة من يتخلف، وأصبح لرجال الأمن الحق في دخول مساكنهم للبحث عن المتخلفين، فتجمع آلاف الهنود للاحتجاج على هذا المشروع وأطلقوا عليه «التشريع الأسود»، وأقسموا على مقاومة تنفيذه حتى النهاية، ومن خلال الصحيفة التي كان يصدرها غاندي «الرأي الهندي» زادت مقاومة الهنود لهذه التشريعات، وأعلن عن تأسيس حركة «ساتيا جراها»، التي تعني التمسّك بقوة بالحقيقة.

استمرت المعارضة للتشريع الأسود، وفي تشرين الاول ١٩٠٦ ترأس غاندي وفداً لمقابلة وزير المستعمرات البريطاني ووزير الهند، ولما كان الوفد في طريق عودته فوق السفينة، أبلغ بأن الحكومة البريطانية رفضت التشريع ولن تسمح به، لكن عند وصول الوفد إلى كيب تاون أعلنت حكومة الترنسفال أنها تتمتع بحرية إصدار التشريع الذي تراه، فصدر القانون فعلاً في مايو (أيار) ١٩٠٧، ثم أصدرت حكومة الترنسفال تشريعاً آخر يحرِّم على الآسيويين دخول أراضيها، بعدها أصدرت المحكمة العليا في جنوب إفريقيا حكماً مفاده أن الزواج المعترف به في جنوب إفريقيا هو ذلك الذي يتم بين مسيحيين مسجلين أمام موثق العقود، فاجتاحت الجالية الهندية موجة من الغضب العارم.

آنذاك فرضت السلطات أيضاً على كل هندي انتهى عقد عمله في المناجم ويريد البقاء، ضريبة سنوية قدرها ثلاثة جنيهات استرلينية، وكان مبلغاً ضخماً بالنسبة الى مستوى دخل العمال الهنود، وكان هدف ذلك تجديد عقود عمال المناجم إجبارياً على رغم أجرهم الزهيد وقسوة ما يقومون به من عمل وما يحمله من مخاطر. وعلى رغم غضب الآلاف من الهنود واحتجاجهم، إلا أن السلطات استخدمت القوة المسلحة في إجبارهم على الاستمرار في عملهم في المناجم، فكان البوليس يسوق طوابير العمال الهنود أمامه بالسياط والبنادق مثل العبيد، وفي تلك الظروف تعرَّض غاندي للسجن لمدة شهرين.

ظل غاندي يطالب بإلغاء هذه الضريبة وإجراءات التمييز ضد الهنود كلها، حتى توصل إلى اتفاق مع السلطات في يناير (كانون الثاني) ١٩١٤، ألغيت بمقتضاه تلك الضريبة، واعتُرف بحق الهنود في الزواج طبقاً لطقوسهم، وكان هذا أول نصر يحققه غاندي من خلال حركته.

مستعمرة صغيرة

خلال الحرب العالمية الأولى، كان غاندي يجوب الهند ليرى بنفسه ويستمع، فاعتصر قلبه ألماً لما رآه من مظاهر الفقر وأنواع التخلف كلها، وفي أواخر عام ١٩١٥ اختار مقراً له في بلدة أحمد أباد، فأقام فيها مستعمرة صغيرة أسماها «ساتيا جراها اشرام»، ومعناها مستعمرة عدم الالتجاء إلى العنف والتمسك بالحقيقة، وكان عدد أفرادها خمسة وعشرين فرداً من الذكور والإناث ومن أعمار مختلفة، تعاهدوا على أن يلتزموا بالحقيقة، ويتمسكوا بعدم الزواج واللجوء الى العنف، وعدم السرقة وتملك أي شيء، وعدم الإسراف في الطعام، والانقطاع التام لخدمة الناس.

عام ١٩١٦ تزعم غاندي معارضة شديدة للحكومة لكي تلغي نظام تصدير العمالة الهندية إلى أنحاء الإمبراطورية البريطانية، ونجح في حملته وألغت الحكومة هذا النظام.

وفي عام ١٩١٧ انتقل غاندي إلى شامباران في ولاية بيهار بناء على طلب الفلاحين الهنود الذين يعملون بنظام السخرة في مزارع الأوروبيين بقوة القانون والعنف، وهناك قوبل بعداء شديد من ملاك المزارع والسلطات، ولكنه قاد معركته معهم بوسائله السلمية، ونجح فيها.

من شامباران انتقل غاندي إلى خيدا في ولاية جوجارت لمعاونة الفلاحين في نزاعهم مع الحكومة على تقدير الضرائب، فطلب من الجميع عدم دفع الضرائب حتى تخفّضها الحكومة، وبالفعل رضخت الأخيرة لمطالبهم.

دعوة الى التطوّع

آنذاك كان غاندي تحوَّل الى قوة يُحسب حسابها، فدعاه نائب الملك ليحضر مؤتمر الحرب الذي انعقد في دلهي عام ١٩١٨، ولكي يحصل على تأييده في موضوع تجنيد المتطوعين الهنود للخدمة العسكرية خارج الهند، فوافق غاندي وتوجه بنفسه إلى مواطنيه لدعوتهم إلى التطوع لكن دعوته قوبلت بكثير من الرفض.

كان غاندي وجموع الأحرار في الهند يأملون بعد انتصار بريطانيا في الحرب بأن تعيد للشعب الهندي حريته، لكن الحكومة البريطانية قدمت إلى المجلس التشريعي الهندي مشروع قانون عُرف باسم «قانون رولات»، ينصّ على فرض قيود شديدة على الحريات العامة، ويعطي السلطة التنفيذية صلاحيات مطلقة في القبض والسجن من دون محاكمة مضمونة، وكانت المرة الأولى

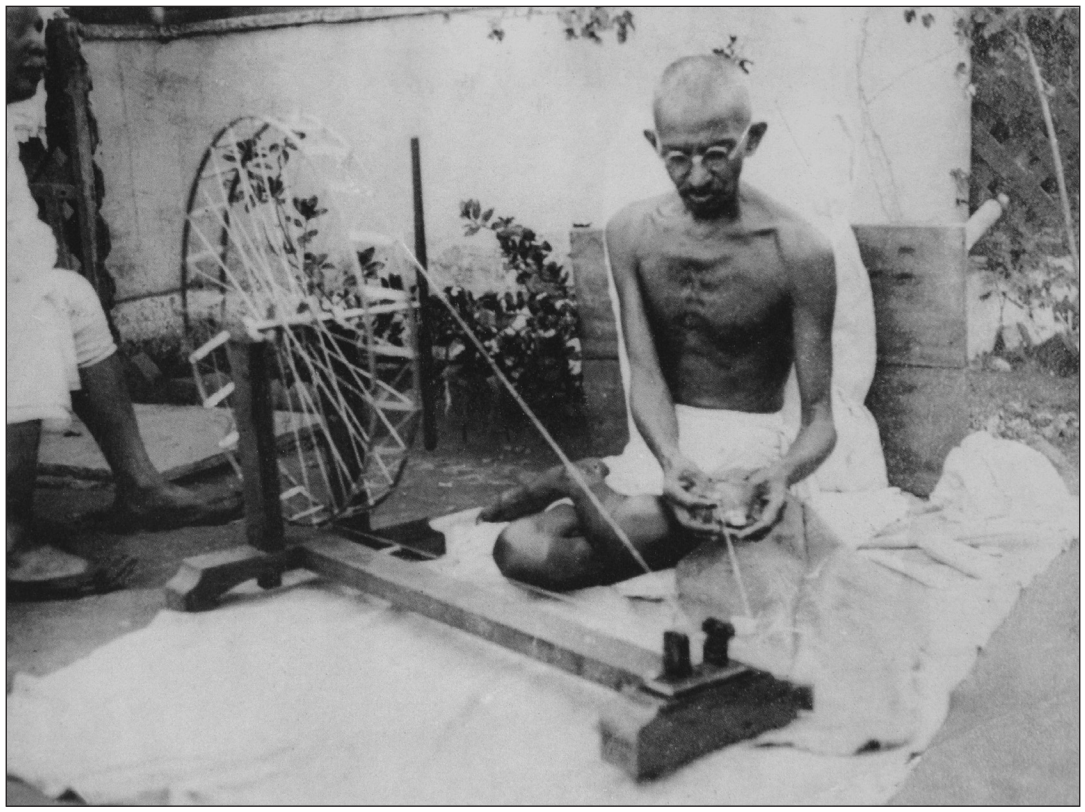

التي يحضر فيها غاندي مناقشات المجلس التشريعي بحضور نائب الملك، فخرج من الجلسة عاقداً العزم على بدء المقاومة الشديدة للحكم البريطاني، تلك المقاومة التي بدأت عام ١٩١٩ وانتهت باستقلال الهند عام ١٩٤٨.

أخذ غاندي يطوف أرجاء الهند وهو يفكر في وسيلة لمقاومة هذا الحكم من دون أن يلجأ إلى العنف، فتوصّل الى فكرة إعلان الإضراب الشامل عن كل شيء، واستجاب له الجميع، ونفّذ ذلك في ٣٠ مارس (آذار) وفي ٦ أبريل (نيسان)، وكان العمل يتوقف تماماً في ربوع الهند كلها، لدرجة أدهشت الحكومة البريطانية، فكيف يستجيب الملايين من الشعب الهندي بهذه الصورة لنداءات شخص كان حتى وقت قريب مجرد جاويش في خدمة الإمبراطورية البريطانية وتحول إلى ثائر ضدها؟ فاضطرت الحكومة إلى إعلان الأحكام العرفية في ولاية البنجاب، وعدم السماح لغاندي بدخول الولاية مرة أخرى.

مذبحة أمريتسار

في ١٣ نيسان سنة ١٩١٩ أمر الجنرال داير، قائد الحامية البريطانية في أمريتسار، بإطلاق النار من دون تمييز، على جمهور كبير من الناس، رجالاً ونساءً وأطفالاً، كانوا مجتمعين في حديقة مسورة للاحتفال برأس السنة الهندية. فوُضعت المدافع على مدخل الحديقة وأطلقت النار على من في داخلها، وكانت أسوارها أعلى من أن يتسلقها أحد ويهرب، فحصلت مذبحة شبّهت بأنها كمن يطلق النار على فئران بمصيدة، وقتل أربعمائة شخص وجُرح الآلاف.

كانت تلك المذبحة نقطة التحول في نظرة غاندي الى الإمبراطورية البريطانية، ووصف ساسة بريطانيون يوم حدوثها بأنه اليوم الأسود في تاريخ الهند، وأول تصدّع خطير في بناء الإمبراطورية البريطانية في الهند، فقد كان غاندي حتى تاريخ هذه المذبحة يتخذ موقفاً مهادناً لبريطانيا، ولكنه أصبح يرى أن الأخيرة تجلب الشر للهند التي يجب أن تحصل على الحكم الذاتي داخل نطاق الإمبراطورية أو خارجها، وكان يرى أن الهند لا يمكن أن تحقق هدفها في الاستقلال إذا استمر العداء بين المسلمين والهندوس، لذلك كرّس نفسه للتقريب بينهما.

بدأ غاندي حملته ضد الحكومة بأن وضع مشروعاً يقضي بمقاطعة كل المؤسسات الحكومية، واستقالة جميع موظفي الحكومة ومستخدميها من مناصبهم، وبغياب المحامين عن جلسات المحاكم، وترك الطلبة معاهدهم، ومقاطعة كل البضائع الأجنبية خصوصاً المنسوجات، وأن يتحول الجميع إلى خدمة الشعب.

اتسع نطاق الحركة في مناطق كثيرة، وأحرقت الملابس الأجنبية في الميادين والشوارع، ونصبت المغازل اليدوية في المنازل لنسج القماش الهندي، وشاركت النساء للمرة الأولى جنباً إلى جنب مع الرجال في مسيرات لتحقيق أهداف الحركة، في الوقت الذي كان غاندي يجوب فيه المدن والقرى يلقي الخطب ويستنهض الهمم، ويداوم على الكتابة في الصحف، فكان رد فعل الحكومة أن ألقت القبض على الآلاف وإيداعهم السجون.

في فبراير (شباط) ١٩٢٢، وعندما كانت حركة عدم التعاون تأخذ شكلاً واسعاً، انفجرت الجماهير فأحدثت أعمال عنف في بلدة شورى شورا بشمال الهند، وهاجمت مركزاً للبوليس وقتلت بعض أفراد الشرطة، وأشعلت النار في المكان، الأمر الذي أثار استياء غاندي بشدة، وقرر أن يوقف جملة المقاطعة وعدم التعاون، فكانت فرصة لأن تقبض عليه الحكومة. قدِّم للمحاكمة، وحكم عليه قاضٍ إنكليزي بالسجن لمدة ست سنوات، لكن أُفرج عنه في كانون الثاني ١٩٢٤، وعاد لتفعيل دوره في تحقيق الوحدة بين المسلمين والهندوس، لأن هذه النقطة كانت حجر الزاوية في استقلال الهند.

آنذاك كانت أحوال الهند تطورت، وازداد الوعي بين الطبقات، فظهرت حركات شبابية، وازداد تذمر الفلاحين، واشتدت أعمال العنف في بعض الولايات، وظهرت طبقة من الماركسيين، وفي هذا المناخ الجديد، اتفقت الجموع كلها في حزب المؤتمر عام ١٩٢٩ على أن يتولى غاندي زعامة الحزب.

في ٢٧ كانون الثاني ١٩٣٠ أعلن غاندي من خلال موقعه كزعيم لحزب سياسي، أن استقلال الهند التام هو هدف السياسة الوطنية الهندية، وكان ذلك إيذاناً من غاندي بتولي زعامة الشعب وتحدي الحاكم البريطاني، فاعتُبر ذلك التاريخ تاريخ استقلال الهند.

مسيرة الملح

في ١٢ آذار ١٩٣٠، بدأ غاندي مسيرة على الأقدام مع ثمانية وسبعين من أتباعه نحو ساحل البحر في داندي، استمرت ٢٤ يوماً، وكان الهدف منها تحدي قانون الملح، الذي يحرّم على الهندي استخراج الملح لاستعماله الخاص.

وفي صباح ٦ نيسان وصل غاندي ورفاقه إلى داندي، وتوجه إلى ساحل البحر، والتقط بيده قطعة من الملح، وكان هذا العمل كافياً لأن تتحدى جماهير الشعب قانون الملح في كل مكان، فبدأت السلطات تتحرك، واعتُقل ما يزيد على مائة ألف شخص بعد تلك المسيرة.

مفاوضات

في تشرين الثاني عام ١٩٣٠، دعت حكومة حزب العمال في بريطانيا برئاسة رامسي ماكدونالدز إلى مؤتمر مائدة مستديرة، لبحث مستقبل الهند الدستوري، وكان غاندي وقتها في السجن، فلم يحضر أحد من حزب المؤتمر احتجاجاً على سجنه، وأعرب رئيس الحكومة عن أمله في أن يرى حضوراً لحزب المؤتمر في مؤتمر المائدة المستديرة الثاني.

وفي ٢٩ (آب) ١٩٣١ أبحر غاندي إلى لندن لحضور المؤتمر الثاني للمائدة المستديرة، وكان الممثل الوحيد لحزب المؤتمر الهندي، وعاد بعد ثلاثة شهور الى الهند من دون تحقيق مكاسب ملموسة. وبعد أسبوع من عودته ألقي القبض عليه وأودع السجن من دون محاكمة، وبقي مسجوناً حتى آب ١٩٣٣.

انتقل غاندي بعد ذلك من أحمد أباد للإقامة في بلدة واردا بأواسط الهند، متخذاً لنفسه منزلاً عبارة عن كوخ مبني من الطين أصبح في ما بعد مقصداً لكل السياسيين الهنود الذين تمسكوا به كزعيم لهم.

في عام ١٩٣٩ اشتعلت الحرب العالمية الثانية وكانت بريطانيا طرفاً فيها، وكان بعض أعضاء المؤتمر الهندي يرى أن الوقت حان، وأنه يجب انتهاز الفرصة والقيام بضربة ضد بريطانيا، ولكن غاندي عارض هذا الرأي واعتبر ذلك عملاً غير أخلاقي ولا يتفق مع مبادئ حزب المؤتمر.

لم تكن الحكومة البريطانية توصلت إلى قرار معين بشأن مستقبل الهند، وكان ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا لا يخفي ازدراءه وكراهيته الشديدة لغاندي، فأرسل لجنة تتفاوض مع الزعماء السياسيين في الهند ومنهم نهرو، لكن المفاوضات وصلت إلى طريق مسدود.

«اتركوا الهند»

في ذلك الحين كانت الجيوش اليابانية وصلت الى حدود الإمبراطورية في الهند واستعدت للهجوم، وكانت الرابطة الإسلامية تطالب بدولة إسلامية منفصلة لها سيادة، ووسط هذا الخطر القادم من الداخل والخارج، أصبح غاندي يرى بأنه من الضروري أن ترفع بريطانيا قبضتها عن الهند وتتركها في حالها.

في ٧ آب ١٩٤٧ اتخذ حزب المؤتمر قراره التاريخي المعروف بـ«اتركوا الهند»، وقال غاندي في مبررات قراره إن «الشعب الهندي لا يفرق بين الاستعمار البريطاني والشعب البريطاني، فقد أصبح الاتفاق واحداً بالنسبة له، وأن الكراهية التي يحملها الشعب الهندي بالنسبة للشعب البريطاني سوف تدفعه لأن يرحب باليابانيين، رغم خطورة هذا، لأن معناه استبدال عبودية بعبودية أخرى...».

في فجر ٩ آب ١٩٤٢ قُبض على غاندي، ومعه أعضاء حزب المؤتمر، وأودعوا فرادى بالسجون في أماكن نائية تحت حراسة مشددة، وما كاد نبأ القبض على غاندي وسجنه يصل الى الجماهير حتى انفجرت غاضبة، فانتشرت أعمال العنف والشغب في ربوع الهند كلها، ودخل غاندي في إضراب عن الطعام حتى ساءت حالته الصحية، لكن الحكومة لم تتحرك.

في شباط ١٩٤٤ توفيت كاستوربا زوجة غاندي بعد ٦٢ عاماً من الزواج، ثم أصيب غاندي بالملاريا وتدهورت حالته الصحية خصوصاً أنه كان يبلغ آنذاك ٧٥ سنة، فأُفرج عنه في ٦ مايو ١٩٤٤.

في أيلول ١٩٤٤ اجتمع غاندي مرات عدة مع محمد علي جناح ليقنعه بعدم تقسيم الهند، ولكن هذا لم يتحقق، إذ انفصلت مقاطعة باكستان عن الهند وأصبحت دولة مستقلة عام ١٩٤٧، وكان جناح هو أول رئيس لها.

بحلول سنة ١٩٤٥، دخلت الحرب العالمية طورها الأخير، وأصبح انتصار الحلفاء أمراً مؤكداً، وأصيبت قيادات حزب المؤتمر بالملل في السجن، وبدا الشعب الهندي كما لو كان فقد روحه المعنوية، وتركت سنوات الحرب أثرها على اقتصاد الهند، وأصيبت ولاية البنجاب بمجاعة رهيبة، وهدد شبح الجوع باقي الولايات، فأصبحت الهند عبئاً ثقيلاً على الإمبراطورية البريطانية، وانقلبت الجوهرة النادرة في التاج البريطاني إلى شوكة مسمومة فيه.

في آذار ١٩٤٦ وصلت إلى الهند بعثة بريطانية من ثلاثة وزراء، تملك صلاحيات واسعة لمناقشة الشروط والخطوات لنقل السلطة إلى أيدي الهنود في سهولة وهدوء، والاتفاق على الترتيبات اللازمة لوضع دستور لمستقبل الهند بواسطة الهنود أنفسهم.

بذلت البعثة البريطانية جهوداً ضخمة في التوفيق بين الهندوس والمسلمين، فقد كان رئيس حزب المؤتمر، على رغم أنه مسلم، يرفض تقسيم الهند، لكن محمد علي جناح صمّم على طلبه بأن يكون للمسلمين دولة منفصلة.

في ١٢ آب ١٩٤٦ كلِّف جواهر لال نهرو بتشكيل الوزارة، لكن محمد علي جناح دعا في ١٦ أغسطس المسلمين للعمل المباشر من أجل استقلالهم، فحدثت مصادمات وحروب دامية في الهند بين المسلمين والهندوس، وكان غاندي آنذاك بلغ الـ ٧٧ وأصبح هزيل الجسم، وعلى رغم ذلك سار حافي القدمين متنقلاً من قرية الى أخرى، يدعو للبعد عن العنف، لكن حملته هذه لم تلق أي نجاح وتدهورت حالته الصحية كثيراً.

في ٢٠ شباط ١٩٤٧ أعلنت الحكومة البريطانية قرارها بترك الهند، وعرضت أن تسلم الحكم إلى السلطات في الولايات الهندية أو إلى أي سلطات أخرى، فأعلن استقلال الهند في ٣ حزيران ١٩٤٧، وقيام دولة باكستان الإسلامية. لكن أعمال العنف انفجرت مجدداً، وبدأ المهاجرون الذين قدّر عددهم بعشرة ملايين يتنقلون من مكان إلى آخر، فالهندوس يعبرون الحدود إلى دولة الهند، والمسلمون يعبرون الحدود إلى دولة باكستان الجديدة.

في ١٢ كانون الثاني ١٩٤٨ قرر غاندي أن يبدأ صياماً حتى الموت أو تنتهي المذابح بين الطوائف المختلفة، وقد نجح في تهديده، فهدأت أعمال العنف، وأخذت دولة باكستان الجديدة نصيبها من ميزانية دولة الهند.

الاغتيال

في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٩ وبينما كان غاندي يتحدث إلى الجماهير، انفجرت على بعد أمتار من مكان جلوسه قنبلة، وقُبض على من ألقاها واعترف أنه كان يريد قتل غاندي.

وفي ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٩، كان غاندي يتوجه إلى الجماهير وهو يتكئ على كتف حفيدته وفي يده عكاز، وبينما هو منشغل بتحية الجماهير، اندفع شاب قوي البنية (كان هندوسياً متعصباً) نحوه وألقى حفيدته جانباً، ثم ركع أمامه كما لو كان يحييه، لكنه كان يصوب مسدسه نحو صدر غاندي، فأطلق عليه ثلاث رصاصات، اخترقت رصاصتان صدر غاندي، واستقرت الثالثة في رئته اليمنى، ما أدى الى مقتله على الفور.

في اليوم التالي أحرقت جثة غاندي خارج نيودلهي بحضور فَيضانٍ من البشر، ثم أعلن الحداد لمدة ١٣ يوماً طبقاً للطقوس الهندوسية. وفي ١٢ شباط ١٩٤٨ نُثر رماد جثته في السبعة أنهار المقدسة بالهند.

غاندي.. الطريق الى الديمقراطية

د. عبدالله المدني

العظماء شأن المهاتما غاندي تظل ذكراهم عطرة متجددة لا تبهت بتقادم الزمان. والهند في احتفالاتها اليوم بذكرى هذا العظيم، لا تتذكر بالفخر من استطاع أن يحول ضعف شعبه وقلة حيلته أمام جبروت المستعمر إلى قوة متدفقة فحسب، وإنما تتذكر أيضاً القيم النبيلة التي جسدها بزهده وتواضعه وتسامحه وانفتاحه وصبره، والتي استطاع عبرها تعرية المستعمر وإحراجه أمام ضمائر العالم. تلك القيم التي تستحق منا العودة إليها اليوم وتأملها، خاصة مع استشراء العنف في عالمنا بصورة غير مسبوقة.

الكثيرون منا يقترن عندهم اسم غاندي بالمقاومة السلمية فحسب، رغم أن سيرته مليئة بجوانب وضاءة أخرى كثيرة. بل إنهم حتى من هذه الزاوية بالغة الأهمية لعالم عربي لا تختلف أوضاعه الراهنة كثيراً عما كانت عليه أوضاع الهند في بدايات القرن المنصرم لجهة العجز والإحباط،، يجهلون أو يتجاهلون الأسس الفلسفية لحركة غاندي وما تميزت به من خصائص فريدة، ربما لأسباب ذات علاقة بدين صاحبها أو فكره المتعارض مع الفكر الأيديولوجي الطاغي على مجتمعاتنا.

كانت الهند في بدايات القرن العشرين، كما وصفها "جواهر لال نهرو"، مجتمعاً بالغ اليأس والإحباط، وشعباً لا يملك قوت يومه، وبلداً يتحكم الأجنبي في مفاصله. واستمر هذا الوضع طويلاً إلى أن برز نجم غاندي العائد إلى وطنه من جنوب أفريقيا وهو مسلح بقراءات فلسفية متعمقة ومختلفة المصادر حول العمل الجماعي وكيفية الرد على استفزازات الخصم وعنفه في مجتمع لا طاقة له على تحمل ردود الأفعال العنيفة، معطوفة على تجربة عملية فريدة في مقاومة التمييز العنصري وحياة العبودية.

ولئن بدأ غاندي مشواره في الهند بمحاولات إقناع المستعمر بالإصلاح واستثارة ما كان يطبقه في بلده من قيم العدالة والديمقراطية والحرية، فإنه سرعان ما اكتشف أن الحوار والصبر لا فائدة منهما، لاسيما بعد مذبحة "جاليان والا باغ" التي حصد فيها المستعمر أرواح ١٣٠٠ مواطن أعزل كانوا يحتفلون بعيد رأس السنة الهندوسية. كان بإمكان الرجل وقتذاك أن يستغل موجة السخط المتولدة من تلك الحادثة في ارتداء لباس الزعيم الثوري ودعوة شعبه إلى حمل السلاح وسفك الدماء ومقابلة العنف بالعنف، وأن يغرق وطنه بالتالي في حمام من الدماء ومسلسل من التدمير والفوضى يكون ضحاياه بالدرجة الأولى هم مواطنوه الفقراء، على اعتبار أن كفة الخصم كانت هي الراجحة. غير أنه أبى أن ينساق وراء العواطف، مفضلاً الاستسلام لفكرة أن العنف إن بدأ فلن يتوقف، وإن توقف في النهاية فسيخلف وراءه ثقافة عنيفة وجداراً منيعاً من الأحقاد.

وهكذا قام غاندي بتسويق فكرة "الساتياغراها" المعتمدة على التزاوج ما بين الحقيقة (ساتيا) والحب (أغراها)، كمرادفين للقوة. ومن هذه الفكرة استنبط مبدأ المقاومة اللاعنفية، باذراً بذلك البذرة الأولى لحركة شعبية جماهيرية ستتوسع وتتعدد وسائلها السلمية وينحني لها العالم احتراماً.

كان على غاندي قبل أن يطلب من مواطنيه التحرك أن يحررهم أولاً من الخوف، سواء الخوف من أجهزة المستعمر القمعية، أو الخوف على النفس ولقمة العيش والمصالح الذاتية. وقد نجح في ذلك عبر إشعار مواطنيه بأن كرامتهم مُداسة وحقوقهم مستباحة وثقافتهم مهانة، مكرراً على مسامعهم "إن الإنجليز موجودون هنا ليس بسبب قوتهم، وإنما بسبب ضعفنا وخوفنا وتشتتنا".

وما أن تحقق له ذلك حتى طالب شعبه بالانتقال إلى المرحلة التالية التي لم تكن سوى مقاطعة مؤسسات المحتل وتنظيماته ومعاهده وبضائعه، والاعتماد بدلاً من ذلك على الذات في كل شيء. وقتها شكك الكثيرون، بما فيهم بعض رفاقه، بجدوى هذا العمل. لكنهم سرعان ما غيَّروا موقفهم، ولاسيما بعد نجاحه في عام ١٩٣٠ في قيادة مسيرة جماهيرية لأربعة وعشرين يوماً إلى ساحل البحر في داندي (على بعد نحو ٢٤٠ ميلاً) من أجل التقاط الملح وتحدي القانون الذي كان قد سلب المواطن الهندي حق صنع الملح لنفسه من بحار وطنه.

ويمكن قول المزيد عن تجربة غاندي، إلا أننا سنكتفي باستعراض أهم معالمها، مع شيء من المقارنة مع طرق وأساليب حركات المقاومة العربية:

– قامت تجربة غاندي في المقاومة على اللاعنف كما أسلفنا. وكان من رأيه أنه "إذا كان المستعمر متوحشاً، فلا يجب أن ننافسه في توحشه، ولنثبت للعالم أننا أصحاب حضارة وسلوكيات أرقى". وبذلك انتزع من الخصم ورقة الرد العنيف، الأمر الذي حظي معه نضال الهنود بدعم واحترام كل القوى المحبة للسلام في بلد الخصم وغيره من بلدان الغرب. ولو أن غاندي في نضاله تمنطق بالسيوف أو وزع الخناجر ودعا شعبه إلى الخطف والعمليات الانتحارية وجز أعناق العدو وعرضها على الملأ لما تجذرت صورته في الفكر الإنساني.

– لم يكن غاندي يقصد، حينما دعا مواطنيه إلى مقاطعة المستعمر، أن بمقدور الهنود إفقار الخصم وتحطيم اقتصاده، إنما كانت المقاطعة بالنسبة إليه عملاً رمزياً لبعث الإرادة والعزيمة الضروريتين لصنع المعجزات. وهكذا مثلاً دارت مغازل القطن اليدوية في كل مكان على امتداد الهند لتوفر البديل للمنتجات الأجنبية، ولتشكل أصواتها الهادرة بالتزامن "أجمل نشيد وأحلى نغمة من أنغام الحرية" على حد وصف نهرو. وكانت المحصلة أن شعر الهنود لأول مرة بسريان روح الكبرياء والعزة في نفوسهم.

– آمن غاندي بأن أية فكرة لكي تنجح جماهيرياً، لابد من اقترانها بالقدوة الحسنة. لذا فإنه حينما دعا إلى المقاطعة بدأ بنفسه، فهجر ملابسه الأوروبية وتخلى عن عمله كمحام أمام محاكم الهند البريطانية، واكتفى مُن الطعام بحليب ماعزه، ومن الكساء بما يدره مغزله من قماش لستر العورة. وهو في هذا يختلف بطبيعة الحال عن دعاة المقاطعة عندنا ممن يطلبون من الناس الانصراف عن منتجات أميركا والغرب ومؤسساتهما بينما هم أول من يبعث بأولاده إلى جامعاتهما، وأول من يحتفظ بأمواله في مصارفهما، وأول من يستمتع برفاهية منتجاتهما.

– حرص غاندي على ألا تصطبغ مقاومته بصبغة طائفية أو أثنية أو جهوية، فلم يستثنِ أي مكون من مكونات الشعب الهندي من شرف الاشتراك فيها، ولم ينسب أي نجاح حققه لطائفته الهندوسية وحدها. إلى ذلك تجنب التعرض بالسخرية لعقيدة المستعمر أو الطعن في قيمه أو مهاجمة شعبه بلغة التعميم تحت ضغط العواطف، فضمن بذلك تعاطف الكثير من القوى والمنظمات البريطانية والغربية.

– كان غاندي واقعياً يعرف قدر نفسه وتواضع قدرات شعبه مقارنة بإمكانيات الخصم، فلم يشأ توريطه في ما لا يقدر عليه مثل الحرب الشعبية المسلحة، ولم يشأ أن يدغدغ عواطفه بالعنتريات والشعارات البراقة والوعود الخيالية، على نحو ما يفعله بعض رموزنا الشعبية ممن يلجأون في غمرة حماسهم إلى قول أشياء مجافية للمنطق.

– برغم دوره الكبير في تحرير الهند من المستعمر لم ينصب غاندي نفسه زعيماً لشعبه. فقد ظل حريصاً على القول إنه مجرد واحد من ملايين الهنود البسطاء، وإنه لا يختلف عنهم ولا يريد لنفسه شيئاً. وهذا أيضاً يختلف عما يجري عندنا من تنافس البعض للبروز كزعيم لا شريك أو صنو له في الوطنية والإخلاص والنزاهة. لقد أصاب شاعر الهند الأكبر طاغور حينما خاطب غاندي قائلاً: "إن كلامك بسيط يا سيدي، وليس بسيطاً كلام أولئك الذين يتحدثون عنك". نعم كان غاندي بسيطاً في كل شيء، لكنه أحدث زلزالاً بتلك البساطة المنطوية على ضمير قلق يبحث عن الحق والسلام. ومثله أصاب ذاك الزميل الذي كتب "إن العالم العربي بحاجة إلى شخصية من نوع غاندي ليقود الجماهير بأسلوب اللاعنف نحو تحقيق أعظم الانتصارات بدون طلقة واحدة" مضيفاً: "لكن المشكلة أنه لا يوجد غاندي ولا يشجع الوسط الراهن على ولادة أمثاله".

مهاتما غاندي الانسان

مهدي المولى

الحقيقة ليس هناك عبارة تعطي هذا الانسان حقه غير صفة الانسان فانها تحتوي على كل انواع الفضيلة انه وضع كل امكانياته وقدراته وقوته وحياته في سبيل الانسان ومن اجل الانسان عاش من اجل الانسان ومات من اجل الانسان فكان يقول مغزلي امامي ومن ورائي عنزتي فانا املك كل شي لكني اناضل في سبيل الاخرين الذين لا يملكون شي اسمعوا ايها المسؤولون في العراق انه يملك المغزل الذي يصنع له لباسا بسيطا وعنزة يتناول الطعام منها ويقر بانه يملك كل شي ومع ذلك انه يناضل ويضحي من اجل الذين لا يملكون شي لا شك ايها الانسان انت المؤمن انت الذي تطبق ارادة الله رسالة الله دين الله انت حبيب الله انت روح الله اما انتم ايها المسؤولون كفار اعداء الله واعداء ارادة الله اعداء رسالة الله ان البقاء على الايمان مرتكز فالكافرون مضوا والمؤمنون بقوا يقي الامام علي واباذر الغفاري والحسين وفهد وعبد الكريم قاسم لانهم جعلوا حياتهم كلها في خدمة الانسان ومن اجله جاعوا وتعبوا وتألموا وماتوا من اجل ان يشبع ان يرتاح ان يسعد ان يحيا الانسان الاخر فاحبهم الناس فاحبهم الله في حين مضى وتلاشى مروان ومعاوية ويزيد وصدام لانهم جعلوا الناس في خدمتهم ومن اجلهم فشبعوا وسعدوا وعاشوا من اجل ان يجوع ان يتعب ان يشقى ان يموت الاخر فكرهم الناس فكرهم الله

اي ان الانسان يرى السعادة والراحة والغنى والحياة في سعادة وراحة وغنى وحياة الاخرين في حين اعداء الانسان يرون السعادة والراحة والغنى والحياة بشقاء وتعب وفقر وموت الاخرين

لا شك المؤمنون يبقون كبقاء الله والكافرون يمضون ويتلاشون

من هذا يمكننا القول ان الامام علي وغاندي على دين واحد وطريق واحد ونهج واحد لانهما احبا الله من خلال حبهما للانسان والتضحية لله من خلال التضحية للانسان

رحم الله غاندي عندما بدأت الخلافات العنصرية في دلهي وبدأت تظهر بوادر لسفك الدماء واجه الموقف بحزم وقوة في ١٢-١-١٩٤٨ اعلن للعالم بانه قرر الصيام حتى يزول الحقد العنصري من العاصمة فيستطيع المسلمون التجول بحرية في شوارعها قرر ان يقتل نفسه حقا انه موقف حكيم وشجاع وحب للانسان في الهند بشكل لا مثيل له واثناء صيام غاندي صرخ نهرو والكثير من انصار غاندي يا ناس يا ابناء الهند هل تدرون ماذا يعني موت المهاتما غاندي يعني موت روح الهند وهكذا ان تضحية المهاتما غاندي بنفسه اعطت الاثر المطلوب واعلنت وقررت جميع الطوائف بانها ستلتزم وتتحلى بالقيم الانسانية وتتخلى عن العنف فعاد السلام الى المدينة

لا شك انه اسلوب قد لا يصدق زعيم دولة تحدث في دولته نزاعات عنصرية لم يعد جيشا وسلاحا ويأمر باطلاق النار بل يعلن عدم تناول الطعام حتى الموت ويصرخ الشعب اذا مات غاندي تموت الهند فتعلن الطوائف تخليها عن العنف ويعود السلام والوئام الى الهند

وكان يقول لا يجوز للانسان ان يحوز او يحتفظ بما ليس في حاجة اليه من مأكل وملبس واثاث كانت رغبته الوحيدة ان تصبح الهند قوة منتجة لا يجوع فيها انسان ولا يبكي فيها احد من اجل لقمة العيش

لا شك هذا يذكرنا بسيرة الانسان الامام علي الذي قدم طعامة الذي لا يملك غيره الى انسان جائع رغم ان الامام كان جائعا لكن مع ذلك فضل غيره على نفسه وكان يتالم ويبكي على الذين قاتلوه والذين قتلوه انهم لا يفهمون لا يدركون فكان يصرخ لا تكن عبدا لغيرك مخاطبا الانسان وكان بقدس العامل ويقول قبلوا اليد العاملة وكان قد تنبأ لهم بالعزة والسيادة في المستقبل فكان يرى في طبقة الاثرياء السادة مجرد لصوص وهو يرى تبذيرهم وتخمتهم فكان يقول لم ارى نعمة موفورة الا وبجانبها حق مضاع او ما جاع فقير الا بتخمة غني فكان هذا هو السبب الذي جعل بعض المتسترين في الاسلام ان يقتلوه كما قام بعض الهندوس لقتل غاندي لحبه لكل اهل الهند بكل اطيافها.

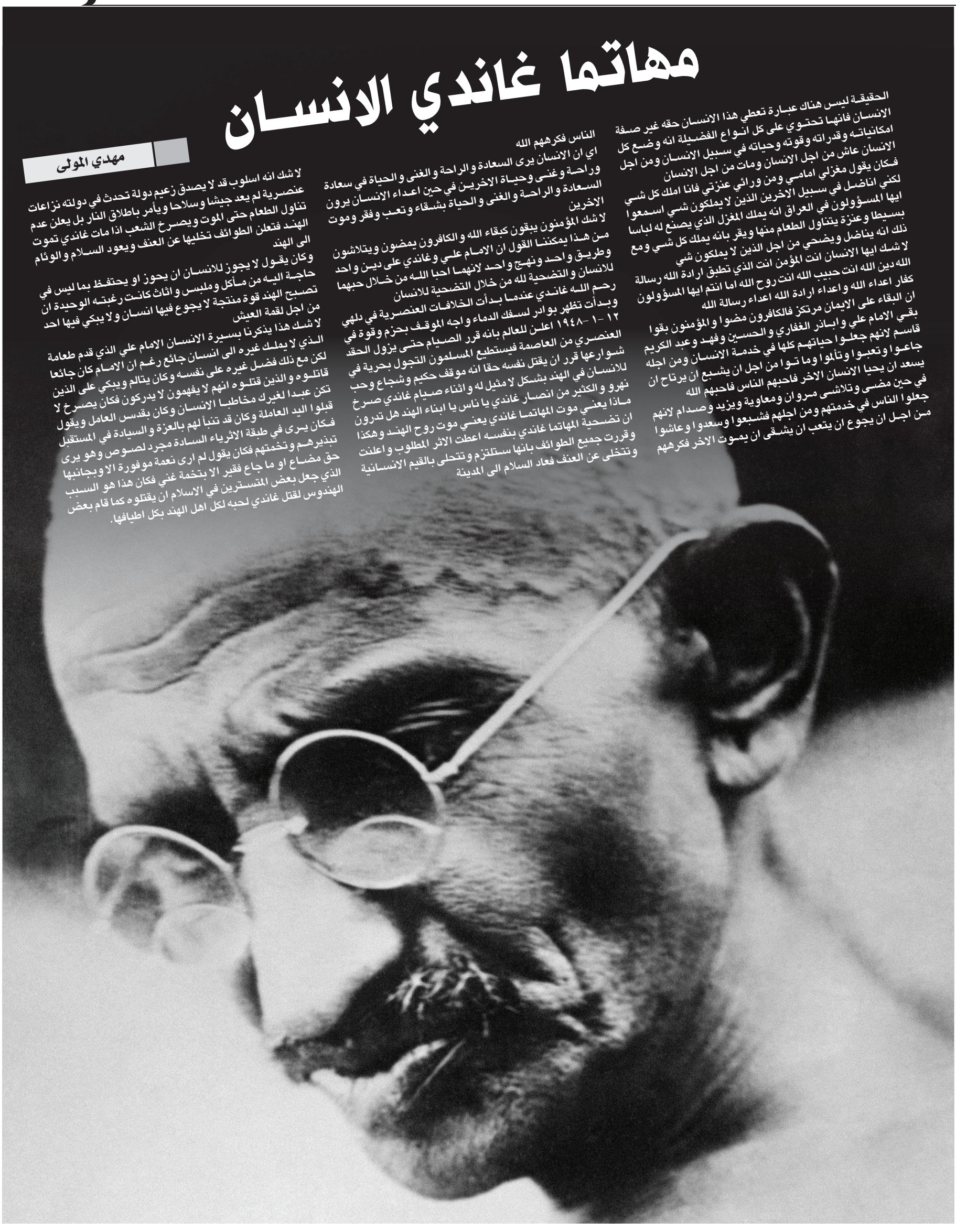

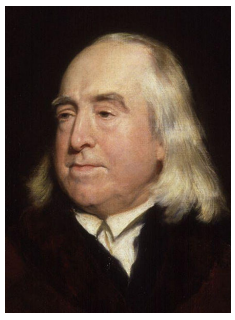

جيريمي بنتام

الشرق شرق والغرب غرب ـ مطلع قصيدة للشاعر الانكليزي ـ رديارد كبلنج الذي ولد في الهند ١٨٦٥ ـ ١٩٣٦ م وعرف بنزعته الاستعمارية الحادة ـ مؤمنا برسالة الرجل الابيض ـ كما فصلها في كتاب له بهذا العنوان اذ يؤكد التعصب البغيض والنزعة العنصرية الحادة..
والفرق بين الشرق والغرب، هو الفرق ما بين فلسفة بنتام، ومذهب المنفعة وفلسفة البر جماتية الامريكية التي تضع لكل سلوك ذريعته لغالية عملية ينشدها ـ اما فلسفة المهاتما غاندي التي عاد بها الى تعاليم الاوبانيشاد وتراث الهند القديم، وقد اضفى عليها من روحه وثقافته، وواقع العالم الذي يراه من حوله، ولمس سوءاته في جنوب افريقيا، كما لمسه من الانكليز في بلادهم حينما كان يدرس القانون في اكسفورد، لانهم كانوا ينبذونه لانه شرقي دونهم منزلة فتعلم وهو يدعو لقانون عالمي يساوي بين البشر..

هاتف الأعرجي *باحث قانوني*

بين فلسفة بنتام وفلسفة غاندي

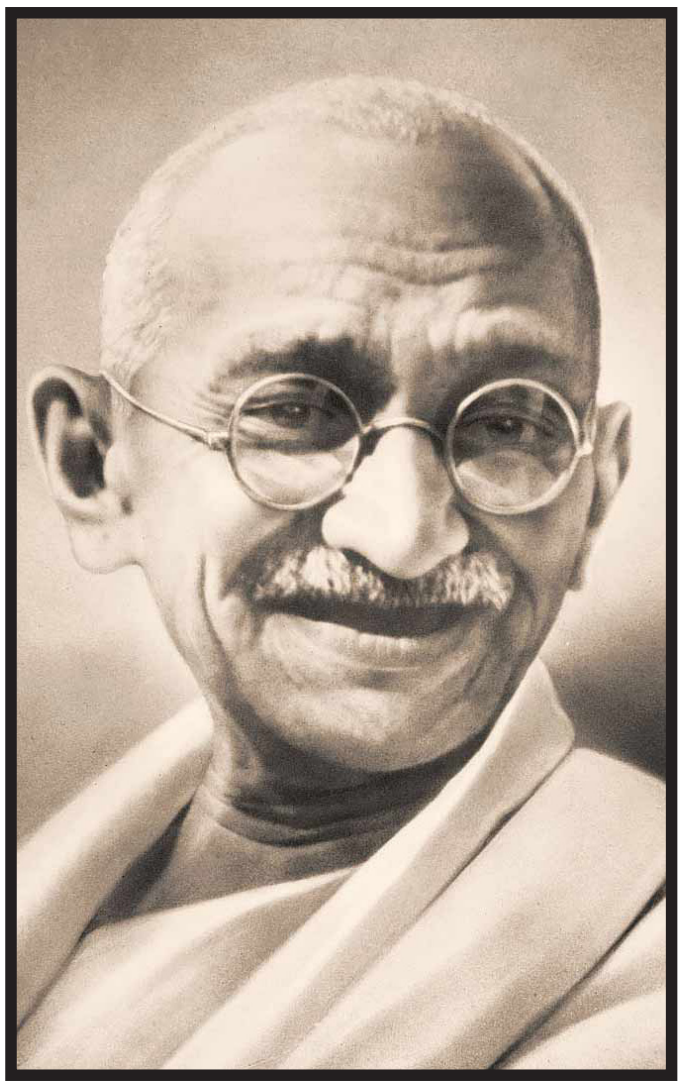

وبعكس النظرة العنصرية والتعصب البغيض الذي يؤمن به المتعصبون فقد كان الشرق والغرب قد التقيا في عقل غاندي على وفاق.. الا ان عقله لم يطغ على روحه وبقي شرقيا بروحه وغربيا بعقله وهو القائل لا احب لبيتي ان تحجبه الحيطان العالية ولا لنوافذه ان تغلق دون الهواء النقي.. وكم احب ان تهب ريح الثقافات جميعا على داري طليقة لا تعوقها سدود، الا انني لا احب منها ان تنتزع قدماي من داري ولا ارضى ان اعيش كلا في دور الاخرين طفيليا ومتسولا او مستعبدا ولو نظرنا روح عظيم، في كتاب عن المهاتما غاندي ص ٤٦ اذ يتضح منها ان زعامته للهند كما يقول العقاد "زعامة هندية وروحانية توائم الهند كل المواءمة حيث لا تصلح الزعامات على منهاج الشعوب الاوربية".
وكان له من روح الهند صبر لا يتزعزع فهو القائل ان كسب الحرب لا يتم في يوم وليلة وانبثقت منها مقاومته للعنف بالمقاومة السلبية، اذ يقول انه يحارب الاستعمار ولا يكره احد، بل يمد المساعدة والعون لكل من كان بحاجة اليه. وكان يرى ان للجميع حقوق الانسان كما يراها لابناء وطنه وللمضطهدين والتعساء من الملونين.. وعاون الصليب الاحمر في حرب البوير ١٨٩٩ ـ ١٩٠٢ وحين تفشى الطاعون في جوهانسبرغ اقام مستشفى لعلاج المرضى. ولم يابه الجنرال سمطس بدعوته وكان ينظر اليه مع ماركب فيه من طبيعة الغرب.. نظرة الازدراء والاحتقار ولكنه عاد ليقول: "انني لا احب قومك، ولا اعني بمد العون اليهم، ولكن ما ادري ما افعل بك؟ انك تقدجم لنا يد العون يوم الضيق، فكيف يتسنى لي اعتقالك؟
كما كان بودي ان تلجأ الى العنف، اذن لعرفنا كيف نتخلص منك.. ولكنك لا ترمي بالاذى حين عادوك وتلجا الى تعذيب النفس لتفوز ولا تتغاضى عن المجاملة او تنسى المروءة ونحن اشد ما نكون عجزا حيالك عباس محمود العقاد ـ روح عظيم ص ٦٣ ـ ٦٤..
وواجه غاندي الانكليز كما يقول العقاد بظاهرة انسانية عجيبة لا نظير لها في حضارتهم الغربية ظاهرة يعرفون منها ما يعرفون ويجلهون منها ما يجهلون، ويحيط بها كل ما يحيط بالمجهول من الهيبة والاستغراب، ولكنه استغراب لم يخل قط من عطف وتقدير كان الانكليز يحارون من هذه القوة، كيف يلقونها وكيف يعالجونها الا شيئا واحدا لا يحارون فيه ولا يحار فيه غيرهم وهو جدارتها بكل احترام.. نفس المصدر السابق وحارب غاندي الغرب بفلسفة الشرق، وشهد الغرب لانه امتدهم بشيء يفتقدونه في حضارتهم المادية، حين كان من المدافعين عنه.. حين نسبت الحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية انه يعرقل مجهود الحلفاء، المارشال سمطس اول من عرفه في حرب البوير.. وقال "انه ارفع من ان يلصق به اي اتهام لانه رجل من اعظم رجالات العالم". امريكا والعالم الدكتور فوزي النجار ص ٩١..
وشهد له اصحاب النزعات الانسانية من فلاسفة العصر، فوصفه هنري توماس ومؤلف كتاب understanding- theyreatphilosophers ترجمة هنري امين في الصفحة ٤٠٤ بانه استوحى الاوبانيشاد روحه العظيمة والتقى ببوذا والمسيح وسبينوزا وتولستوي ثم عاد الى الاوبانيشاد.. وقال فيه برنادشو ان غاندي من العظماء الذين لا يجود التاريخ بامثالهم الا مرة كل الف عام.. وكتب عنه رمان رولان ووضعه في طليعة اقطاب الفكر الانساني وراح يبشر بفكره في الغرب وكان غاندي يحب الاستشهاد بكلمات شاعر هندوكي هو "شملال بهات" يقول فيها "ان كرام النفوس يرون الناس رجلا واحدا، ويرون الشر بالخير في رضاء".. ويقول غاندي لو ان الناس، وعوا هذه الكلمات ومارسوها لبزغ على الجنس البشري فجر جديد.. الدكتور هنري توماس مصدر سابق. وادرك غاندي ان الشرق شرق والغرب غرب فراح يبشربتعاليم الشرق وان البشر جميعا يجمعهم مصير واحد.
وبعد اغتيال غاندي كان "جواهر لال نهرو" رئيس وزراء الهند ووزير خارجيتها وخليفة المهاتما غاندي على رئاسة حزب المؤتمر.. فقد دعا الى الحياد وكان يعبر عن اتجاهه بقوله ان الامن ينجم عن السلام قبل ما يكون السلام ناجما عن الامن.
وكانت ميزة نهرو على معاصريه من زعماء العالم الاسيوي انه خاض معركته ضد الاستعمار في صحبة غاندي منذ البداية، فتشرب فلسفته في السلام والمقاومة السلبية وعرف الغرب الاوروبي كما عرفه غاندي دارسا وزائرا وبقي كما بقي غاندي مؤمنا بالشرق وفلسفاته ولم يكن غريبا منه ان يدعو الى السلام ويؤكده ولكن بغير ما يدعو اليه الغرب الامريكي او الروسي.. فكان اتسمت دعوته للحياد بالدعوة الى السلام والسلام لا يتحقق الا بالتحرر من الخوف والخوف لا يقع طالما ظل الامل وطيدا في تسوية سليمة او وفاق، ويستشري حين يسود الشك.. وما دام الشك بعض ماركب في الطبيعة الانسانية فلن يتحرر الناس من الخوف المبهم، وقد يصبح الخوف او الشك زادا للكراهية واتونا للحقد.. والتعصب هو الصورة البارزة او المدركة لمكونات الحقد والكراهية.. وهو ما يفسر كيف ذهب دعاة الخير والسلام ضحية العدوان الاثم او الاغتيال الكريه ـ فقد اغتيل لنكولن محرر العبيد واغتيل غاندي داعية السلام، وقبل هؤلاء كان اضطهاد اليهود للمسيح عليه السلام والتامر على صلبه..
وقد تبنت الهند منذ تأسيسها سياسة السلام، وسياسة تحرير المستعمرات فقد تبنى حزب المؤتمر الهندي ضرورة انسحاب القوات الاجنبية من اندونيسيا وفستوريا والهند الصينية وايران ومصر.. وان تحرير البلدان الاسيوية جزء من تحرير الهند ـ وان تحرير الهند دعامة للسلام العالمي.. وفي غمرة الحرب الباردة والتي استعرت من جرائها الى نوع من المواجهة المباشرة في حروب محلية دارت رحاها في منطقة الشرق الاقصى اكثر مما دارت في مكان اخر.. ووقفت اكثر دول المنطقة بمناى عنها، ما لم تمس اراضيها او تقترب من حافتها ولم تجد مبررا لان تخوض غمارها او تشارك فيها، او تؤيد فريقا على اخر.. وكان التزامها بالحياد يفرضه الواقع القائم والمصلحة المباشرة، وليس ثمة تبرير لان يخوض غمار صراع سلمي او حربي، قد يعود عليه بالوبال والدمار.. وفي ضوء هذه الحقيقة كانت دعوة الزعيم الهندي نهرو لقيام منطقة ثالثة تكون وسطا بين الكتلتين المتنازعتين وتعمل على توازن القوى بيهما فتكون دعامة للسلم، تحت ضربات التكتل والمحالفات العسكرية.. ولم تكن لتغيب عن نهرو عبارة الباحث "ليدل هارت" الانكليزي من ان حياد الدول الصغرى حياد نظري ولكنه كما يقول يصبح قوة لها خطرها اذا ما ارتطبت هذه الدول الصغرى بعضها ببعض وعملت على تأمين حيادها متماسكة قوية وهو ما ذهب اليه نهرو في نظريته عن الحياد فهو ليس تاكتلا عسكريا وانما هو اتفاق بين دول لتكون منطقة حاجزة بين المتصارعين ويمكن ان تكون وسيطا في نزاع ينشب فالدول مهما تازمت امورها تتطلع عادة الى وسيط يصلح ما بينها وحين عرضت قضية استقلال اندونيسا على مجلس الامن اجمعت الدول العربية والاسيوية المستقلة على اختيار الهند، لعرض قضية اندونيسيا وكان قراراه بوقف القتال وتسوية النزاع وديا.. وبعد كفاح الشعب الاندنوسي ضد الاستعمار الهولندي وتأييد دول الحياد ظفرت اندونيسيا باستقلالها عام ١٩٤٩..
وفي ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٩ عقد مؤتمر نيودلهي فكان البداية الواقعية لقيام مجموعة الدول الاسيوية والافريقية.. وبينما احتذت هذه المجموعة الاسيوية الافريقية مبادئ الامم المتحدة نأت عنها الولايات المتحدة بعد الحرب الكورية وفشلت سياسة ايزنهاور ـ دلاس في جر اكثر الدول العربية الى سياسة الاحتواء وبقيت المنطقة تمثل ما ادعاه الغرب فراغا ستراتيجيا في تطويق الاتحاد السوفيتي والواقع ان الولايات المتحدة قد تركت هذا العبء على كاهل بريطانيا التي كانت حريصة على نفوذها التقليدي اما امريكا فاكتفت ابتداء برعاية اسرائيل والطمع في البترول.

غـــانـدي.. الـــروح النبيلـــة

قبل بضعة أعوام زار الكاتب البريطاني باتريك فرينج منقطة سابارماتي أشرم، في ضواحي احمدي آباد في ولاية كوجارت- الهند، والتي بدأ فيها المهاتما غاندي المسيرة التي أطلق عليها "حملة الملح"، متوجهاً نحو البحر، في عام ١٩٣٠، وفوجئ فريج بقذارة أجزاء من المدينة، علماً إن تعليمات غاندي كانت تركز على أهمية النظافة.

لقد بقيت بعض تلك التعليمات وجاءت غيرها على مرّ الأعوام، وعلى سبيل المثال فإن الأمريكيين، كما يقول المؤلف لا يعرفون عن غاندي، غير ما شاهدوه في فيلم سينمائي يتناول حياته، إن الفيلم الذي مثله بن كينغلي كان جيداً، ونال الممثل عنه جائزة الأوسكار، ولكنه لم يقدم الصورة الحقيقية للمهاتما: الرحالة والسياسي البارع، ونصير الفقراء والمجدّد والمصلح الاجتماعي.

الكتاب: كيف أصبح غاندي

تأليف: جوزيف ليليفيد

ترجمة: إبتسام عبد الله

إن فلسفة غاندي هي غاية بحث المؤلف جوزيف ليليفيد ورؤيته الاجتماعية وكفاحه من اجل تطبيق أفكاره على المجتمع الهندي، وليليفيد كاتب أختص بحياة غاندي على جانبي المحيط الهندي، وقد غطى مرحلة حياة غاندي في جنوب إفريقيا لصحيفة نيويورك تايمز (وفاز عن ذلك بجائزة البوليترز عام ١٩٨٦، عن التمييز العنصري)، وامضى أيضاً عدة أعوام في أواخر الستينات، مراسلاً للصحيفة في الهند.

وسيرة حياة غاندي، في الكتاب الجديد لا تغطي كافة مراحل القائد الهندي الراحل، إذ إن القراء يعرفون بلا شك المراحل الأساسية في حياته، وقد تناولتها شعراء الكتب من قبل، وهي أيضاً ليست للمبتدئين، فهو يتناول مراحل أساسية في حياة غاندي في جنوب أفريقيا وفي الهند، منتقلاً من مكان إلى آخر.

إن العقدين اللذين أمضاهما غاندي في جنوب أفريقيا كانا افتتاحية لحياته، ويتناولهما ليلفيد بجدية تستحقانها. لقد كتب غاندي مرة في منتصف حملته ضد سياسية البند، "لقد حاربت ذلك المبدأ في جنوب أفريقيا إنجاً بعد إنج".

وقد استغرق أمر تحويل ذلك المعتقد الضمني واقع ملموس زمناً من حياة المهاتما غانيد، فعندما وصل موهانداس كارا مجاند غاندي الى دوربان من بومباي عام ١٨٩٣، كان في سن الـ٢٣ من عمره، محامياً في مرحلة التمرين، مستأجراً من قبل تاجر هندي مسلم لمتابعة قضاياه في المحاكم، وكان غاندي آنذاك مهتماً بدراسة الأديان وتناول القليل من الطعام، ولم تكن السياسة تقع ضمن تلك الاهتمامات، ولكن جنوب أفريقيا وأحوالها استفزته ودفعته إلى العمل.

وفي بداية الأمر واجه غاندي قوانين التمييز العنصري وأوضاع عمال المزارع وسكة الحديد، الذين كانوا يشكلون آنذاك النسبة الأكبر من المهاجرين الهنود، والحملات التي قادها تحت شعار، "العنف"، تواصلت أعواماً، منادياً بالمساواة بين الملونين والسكان البيض.

وكما يقول المؤلف فإن نتائج حملته تلك في جنوب أفريقيا، لم تكن واضحة أو دائمة- وقد تعرض للضرب، إثر اشتباه في سلوكه وانه يعقد صفقة مساومة مع السلطات الحكومية هناك، ولكن تلك الحملات علّمته كيفية قيادة الجماهير وتحريكها، جماهير الطبقة الوسطى من الهندوس والمهاجرين الفقراء جداً من المسلمين الهنود، وكما قال عن نفسه، "لقد وجد مهمة حياته"، مهمة بدأت أولاً في الدعوة إلى المساواة ما بين الهنود والبيض، ثم ما بين الهندي الفقير والغني.

وهو بعد عودته إلى الهند عام ١٩١٥، أعلن ما أسماه بـ"الأعمدة الأربعة للحكم الذاتي"، وعقد تحالف ثابت وراسخ بين الهندوس والمسلمين، ونشر مبادئ اللاعنف عالمياً، ونشر الحرف اليدوية في القرى الهندية التي يبلغ عددها، ٦٥٠،٠٠٠ تقريباً، مع محاربة فكرة إطلاق تسميات مثل "المنبوذ"، أو "النجس"، على الطبقات الدنيا من الناس.

وفي مسيرته، صادف مجموعات من الأعداء- البعض منهم ظنّه متعاطفاً مع المسلمين، والمسلمون اعتقدوا انه نداءاته وسياسته، هي جزء من خطّة هندية، وبريطانيون اعتقدوا أنه ثوري راديكالي، والى غير ذلك من الأمور.

وكان غاندي يعلن في خلال مسيرته، أن الحرية التامة لن تحقق ما لم تلغ الفوارق بين طبقات المجتمع، وما لم يتم الاستقلال التام في الهند.

وغاندي، ما يزال حتى اليوم يدعى بـ"أب الأمة"، في الهند، ولكن تعليماته عن الحرف اليدوية، (النسج) والعيش البسيط، قد تخلى عنها الهنود، والتوتر بين الهندوس والمسلمين ما يزال قائماً، وما تزال أيضاً الفوارق قائمة بين طبقات المجتمع.

ويرى المؤلف أن المأساة الحقيقية في حياة غاندي لا تعود الى اغتياله في النهاية، وليس بسبب نبله الذي ولدّ كراهية في قلب قاتله، أن العنصر المأساوي يكمن في أنه مثل، الملك لير، أرغم في النهاية على رؤية أحلامه لا تتحقق كما تمنى وإنما لم تقدر على إعادة تشكيل العالم.

ويقول المؤلف: إن غاندي كافح والشك يساوره، وخاصة في أيامه الأخيرة، باذلاً جهده في القضاء على التوتر بين طوائف الشعب الهندي المتعددة، وقد كتب قبل ثلاثة أسابيع من اغتياله من قبل احد أفراد طائفته: "علينا اليوم أن ننسى إننا هندوس أو سيخ أو مسلمون.. ولكننا جميعاً نعبد الله".

كان غاندي قائداً ثورياً، طالب في بداية حياته في جنوب أفريقيا بالاتحاد ضد الظلم، وكان ثورياً عندما عاد إلى الهند إبان الحرب العالمية الأولى، وكان ثورياً في عام ١٩٤٧، عندما أعلن استقلال الهند، وهو ما يزال ثورياً في العالم اجمع.

عن/ النيويورك تايمز

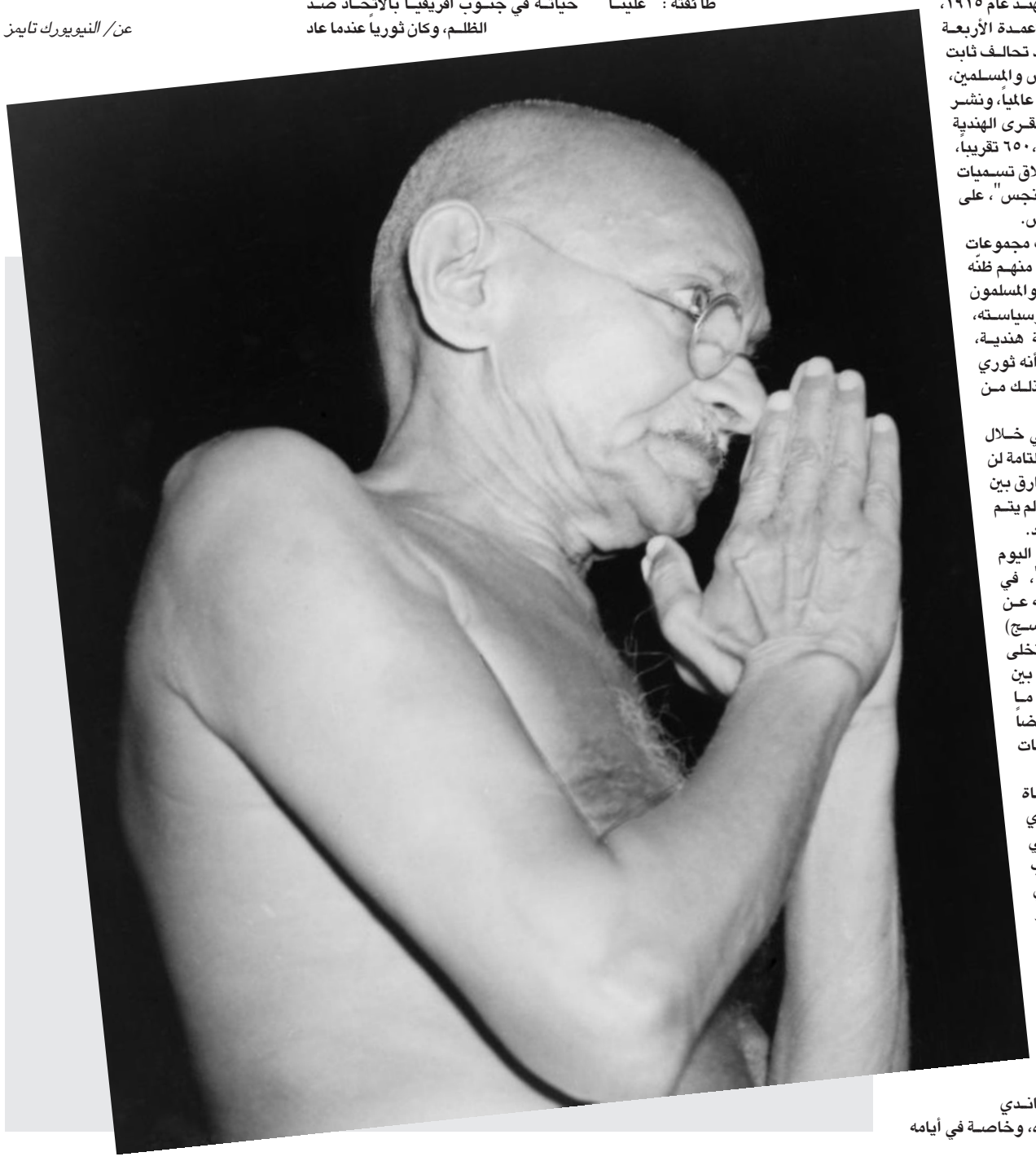

غـانـدى وأنـسـنـة الـسـيـاسـة

لا أعرف إن كان أحدا غيري إستخدم مصطلح - أنسنة السياسة- كائن ما كان لايهم، المهم أنه مصطلح لايمكننا إطلاقه الاعلى المهاتما غاندي. الذي وضع قوانين الأنسنه لكل شيء، حتى تدرجت به الأنسنة للاشياء، والافكار، الى ان وصل لأنسنة السياسة. وتعامل مع السياسة على انها بشر يتحدث معه، يحاوره، يناقشه، يأخذ منه، و يقنعه، والأهم من هذا كله يرحمه، و يرأف بحاله، كأنه طفل صغير، فقير تارة، وغني تارة اخرى، قوي تارة، و ضعيف تارة اخرى، تجورعليه الصدقة احيانا، و يطلب منه العون في أحيان كثيرة، هكذا تعامل غاندي مع السياسة .

سارة طالب السهيل

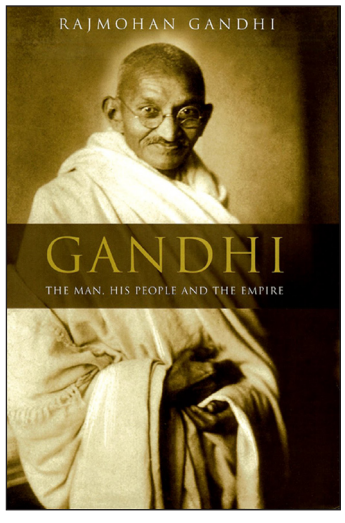

الأنسنة والإنسانية الفرق بين الكلمتين حرفين، الألف و الياء و كلمة أيّ مع الشده باللغة العربية تستخدم للدلالة، وبالفعل ما الانسانية الا دلالة للانسان، بدونها لايرقى ان يكون المرء بهذه الرتبه، الرحمه والرأفه موجوده لدى الكثير من مخلوقات الله حتى الشعور والاحساس والحنية نجدها بوضوح عند بعض الحيوانات الأليفة على سبيل المثال قطة أو كلب بمشهد رائع من الحنو برعايتهم أطفالهم الرعاية بمسؤوليه تامه لم يتخلوا عنها، ولم يتحدوا الفطره التي جبلهم عليها الله سبحانه وتعالى، الا أن الانسانية بمشمولها الأوسع لايمكن ان تكتمل الا لدى الانسان، ولكن ليس كل انسان سوي و لعل تقييم الاستواء يختلف من شخص لشخص ومن بيئه لبيئه.

وبرأيي الشخصي ان سمح لي، أجد أنه على الانسانية ان تتغلغل بكل شيء، و ان كان صنع اكبرمركبة فضائية أو أخطرسلاح نووي فتاك او ادارة اقتصاد البلاد. وتتوغل ببيوتنا ومؤسساتنا وشوارعنا وغاباتنا، والمقصود بهذا التعامل مع اي امر بمنطلق انساني نفكر به بمصلحة الناس، و الكائنات و الطبيعه، والبيئة، و كل شيء من حولنا بدءا من الإنسان لقالب الحديد. وأكاد أجزم أن صاحب الجلالة الإنساني بتفوق المهاتما غاندي وهو من أنسن السياسة و طوعها لخدمة الانسانية و بالتالي اسعاد بني الانسان.

قال غاندى هناك سبعة أشياء تدمر الإنسان هى: السياسة بلا مبادئ، المتعة بلاضمير، الثروة بلاعمل، المعرفة بلاقيمة، التجارة بلا أخلاق، العلم بلا إنسانية، العبادة بلاتضحية. لخص غاندي السعادة بسطور؟!! هذه المبادىء نحن فى أحوج الحاجة إليها فى وقتنا هذا، كما انها قانون يسري في كل عصر، و يتماشى باي مكان، وزمان خاصة في ضل ما يحيط بنا من إستخدام العنف، وسيادة لغة القوة والبطش في كل مكان في العالم سواء على المستوى العام بين الدول مع بعضها وبين الحكومات والمعارضة أم على مستوى العلاقات الإنسانية في نطاقها الضيق في البيت، والمدرسة، والشارع. من هذا المنطلق أسس غاندي ما عرف في عالم السياسية بـ"المقاومة السلمية" أو فلسفة اللاعنف (الساتياراها)، تهدف إلى إلحاق الهزيمة بالمحتل عن طريق الوعي الكامل والعميق بالخطر المحدق وتكوين قوة قادرة على مواجهة هذا الخطر باللاعنف أولا ثم بالعنف إذا لم يوجد خيار آخر.

اختار غاندي ان يكون مدافعا عن حقوق الناس، والفقراء قبل ذهابه الى بريطانيا عام ١٨٨٨ لدراسة القانون، التي عاد منها بعد عام إلى بلده حاصلا على شهادة جامعية تخوله ممارسة مهنة المحاماة، ربما اراد غاندي إضفاء صفة الشرعية لما يقوم به من دفاع، وبرأيي الشخصي ان المهاتما قام بمهمات اصعب بكثير من كونه محامي سواء قبل او بعد دراسته للمحاماه كونه واضع لقوانين مهمة اصبحت فيما بعد نموذج للعدل في التحكيم على الكثيرمن امور الحياة. فالمحامي يدافع عن شخص أو أفراد والحكيم يدافع عن أمم.

لم يصبح غاندي الزعيم الاكثر شعبيه من دون تقديم التضحيات، فهو تغرب عن وطنه للدراسه في بريطانيا من أجل خدمة بلده، و تغرب للمره الثانيه في "ناتال" بجنوب أفريقيا عام ١٨٩٣ الذى سافر غليها على اساس البقاء عام واحد فقط لكن بسبب أوضاع الجالية الهندية بقي فيها ٢٢ عاما. وركزعمله العام على النضال ضد الظلم الإجتماعي، وضد الاستعمار. واهتم بشكل خاص بمشاكل العمال، و الفلاحين والمنبوذين ؛ واعتبر الفئة الأخيرة التي سماها "أبناء الله" سبة في جبين الهند. تحدى غاندي القوانين البريطانية التي كانت تحصر إستخراج الملح بالسلطات البريطانية، وقاد مسيرة شعبية توجه بها إلى البحر لإستخراج الملح من هناك. وفي عام ١٩٣١ أنهى هذا العصيان بعد توصل الطرفين إلى حل وسط ووقعت "معاهدة دلهي".

عندما بدأت الخلافات العنصرية في دلهي، وبدأت تظهر بوادر لسفك الدماء واجه غاندى الموقف بحزم وقوة بأن أعلن للعالم فى ١٢ كانون الثاني ١٩٤٨ قراره الصيام حتى يزول الحقد العنصري من العاصمة، حتى يستطيع المسلمون التجول بحرية في شوارعها، وأثناء صيام غاندي صرخ نهرو والكثير من انصارغاندي (يا ناس يا ابناء الهند هل تدرون ماذا يعني موت المهاتما غاندي يعني موت روح الهند)، وقررت جميع الطوائف بأنها ستلتزم وتتحلى بالقيم الانسانية، وتتخلى عن العنف فعاد

السلام الى المدينة. كان يقول لايجوز للإنسان أن يحوز أو يحتفظ بما ليس في حاجة اليه من مأكل، وملبس، وأثاث. كانت رغبته الوحيدة ان تصبح الهند قوة منتجة لا يجوع فيها إنسان، ولا يبكي فيها أحد من أجل لقمة العيش.

(صاحب النفس العظيمة) أو (القديس) هما معنى لقبه "المهاتما" الذي أطلقه عليه الناس. هل كان يدري والده أن ولده سيكون شاغل الناس حتى بعد وفاته بسنوات وسنوات، حيث ان غاندي ولد عام ١٨٦٩في بور بندر بمقاطعة غوجارات الهندية من عائلة محافظة لها باع طويل في العمل السياسي، حيث شغل جده ومن بعده والده منصب رئيس وزراء إمارة بور بندر، كما كان للعائلة مشاريعها التجارية المشهورة، إذ لم يكن غاندي من عامة الناس الفقراء، وبرأيي هذا أمرا يحسب له ويجعل الفقير والغني يحترمه. فهو لم يكن يعاني شخصيا بما يطالب به لغيره، ولم يكن دافعه شخصي، ولكن من باب الإيثار والشعور بالآخر، وأمنيته أن يحصل الجميع على المميزات التي إستطاع الحصول عليها بسبب ظروف عائلته المادية، والتي شغلت مناصب عديدة، وربما أيضا كونه ولد في بيت سياسي أثر في تكوينه الشخصي، حيث تربى على خدمة الناس والإنشغال بهمومهم ؛ نعم هذا هو النضال الحقيقي و هكذا هي السياسه النظيفه.

شاعر الهند الأكبر طاغور خاطب غاندي قائلاً: "إن كلامك بسيط يا سيدي، وليس بسيطاً كلام أولئك الذين يتحدثون عنك"، ربما كلامه البسيط كان جوازمروره لقلوب الناس. فكم من حكمة عظيمه فقدت مفعولها بالعبارات المنمقه التي قد لايفهمها العامه، وبالتالي لا توفي الشرط المطلوب، ولا تترك الأثر المرغوب، و لاتحدث التغير المرجو. ولم تكن البساطه فقط بعباراته وإنما ايضا بأسلوب حياته، مأكله، ومشربه، وملبسه، وتصرفاته وتحركاته ؛ وأيضا في إعترافه بأخطائه، وعمله على إصلاح نفسه وخدمة مجتمعه اللذان كانا يسيرا معاً، إعتراف بالخطأ ارتكبه مهما كان ذلك مكلفا، وبالتسرع في بعض الامور، أصلح من نفسه سواء في بيته، أوعمله، أو افكاره وأن الانسان يخطيء لكن يجب ان يقوم من نفسه، ومساره، ويصلح حاله، ويهذب نفسه طالما هو على قيد الحيا. ومثالا على ذلك ؛ يقال بأن إمرأة جاءت لغاندي من مسيرة يومين وكانت قد جلبت معها طفلها وقالت لغاندي: إنني أحضرت طفلي الذي يحبك كي تنصحه بأن لا يأكل السكر، فإن الأطباء حذروه من أكل السكر، ولكنه لايقتنع بكلامهم ولاكلامي.

فقال غاندي: إذهبي وتعالي بعد أسبوعين.

قالت المرأة وهي غاضبة: أنا أتيتك مسافرة يومين بالقطار، والآن تعيدني بقولك المقابله إنتهت تعالي بعد أسبوعين وأجلبي ولدك معك.

فقال:نعم فذهبت وعادت بالوقت المحدد وقالت له أنا التي أتيتك منذ أسبوعين.

فقال: أتيتيني بشأن ولدك والسكر

فقالت: نعم وهي مستغربة كيف إستطاع أن يتذكرها مع أنه لم يرها سوى ثوان ولم يعرها أي إنتباه.

فقال للولد: يا ولد أتحبني ؛ فقال الولد:

نعم ؛ قال: أنا لا أكل السكر فإن كنت تحبني فلا تأكله.
فقالت الأم: ولماذا أرجعتني المرة الماضية؟
قال حكيم الهند: في المرة الماضية كنت آكل السكر، ولحبي لولدك منعت نفسي من أكل السكر حتى أستطيع أن أنصحه بما لا يعيبني.
والملفت أن غاندي كان لايعتبر إمتناعه هذا نوعاً من الحرمان، بل إنه كان يدفع نفسه للاستمتاع بوضعه الجديد قدراستطاعته، وكان يشجع أفراد أسرته على ضبط النفس والالتزام بما هو مفيد لصحتهم من وجهة نظره مهما كان صعباً. فقد مرضت زوجته مرضاً خطيراً مرة فتوسل إليها بعد أن أخفقت أدويته لأنه كان هو الذي يتولى علاجها بطرقه الخاصة المعتمدة على العلاجات بالماء والتراب ؛ توسل إليها أن تجتنب الحبوب والملح، ولكنها رفضت ذلك. وقالت له: إنه شخصياً لن يجتنب الملح والحبوب إذا طُلب منه ذلك، فقال لها: أنت مخطئة ؛ لو كنت مكانك لأجتنبتها وأعلن أمامها أنه سيترك تناول الملح والحبوب عاماً كاملاً سواء فعلت هي مثله أم لا، مما جعل زوجته تلتزم بنصيحته، ولم يتراجع غاندي عما ألزم به نفسه وبالفعل امتنع عن أكل الحبوب والملح عاماً كاملاً.
يعد غاندي من الزعماء القلائل الذين نالوا شهرة واسعة في هذا العصر، حيث وهب حياته لنشر سياسة المقاومة السلمية، أو اللاعنف ؛ وإستمرعلى مدى أكثر من خمسين عاما يبشر بها. كما اهتم بالدفاع عن حقوق الأقلية المسلمة، وتألم لإنفصال باكستان، وحزن لأعمال العنف التي شهدتها كشمير، ودعا الهندوس إلى إحترام حقوق المسلمين مما أثار حفيظة بعض متعصبيهم فقرروا التخلص منه، وبالفعل في ٣٠ يناير١٩٤٨ أطلق أحد الهندوس المتعصبين ثلاث رصاصات قاتلة سقط على أثرها المهاتما غاندي صريعا عن عمر يناهز ٧٩ عاما. قد خسره كل اصدقائه من كل الجنسيات و الديانات و السياسات ممن عاصروه و ممن لم يعاصروه.
الحقيقة ليس هناك عبارة تعطي لغاندى حقه غير صفة الإنسان، فانها تحتوي على كل أنواع الفضيلة ؛ لأنه وضع كل إمكانياته، وقدراته، وقوته، وحياته في سبيل الإنسان، ومن اجل الانسان، عاش ومات من اجل الانسان. فكان يقول: مغزلي أمامي، ومن ورائي عنزتي للذين لايملكون شيء. لانه يملك المغزل الذي يصنع له لباسا بسيطا، وعنزة يتناول الطعام منها ويقر بأنه يملك كل شي ومع ذلك يناضل، ويضحي من أجل الذين لايملكون شيء. أي أن الإنسان يرى السعادة، والراحة، والغنى، والحياة في سعادة وراحة وغنى وحياة الاخرين ؛ في حين أعداء الانسان يرون السعادة والراحة والغنى والحياة بشقاء وتعب وفقر وموت الاخرين.
غاندي الانسان إستطاع بإنسانيته أن يحقق ما عجز أي ديكتاتورعلى تحقيقه بكل أسلحته، وأدواته المدمره. بالمحبه والايمان والتسامح، بالعدل والمساواة وقبول الاخر، بالطيبة بالإنسانية بالرأفة، وايضا الحكمة، فعل غاندي المعجزات – أحبه جدا وأحترمه جدا – ويكاد يكون ملهمي من الشخصيات السياسية، لانه لم ينظر للوطن كشركة تجاريه إستثماريه، ولم ينظر للمواطن على أنه اداة لتسوية المصالح السياسيه الشخصيه، ولم يظلم احد باسم الدين ولم يقتل احد باسم التصليح والاصلاح والعقاب. سلاحه الفكر، والحب، والايمان؛ سلاحه الاصلاح بروح الإنسان إصلاح يدوم ويتوارث وليس بالاكراه والعنف الذي يولد حقد، وعنف، ويورث الأجيال العدائية. الله يرحم من قال: انا املك كل شي لكني أناضل في سبيل الاخرين.
الله يرحمك يا غاندي.

عن/ ايلاف

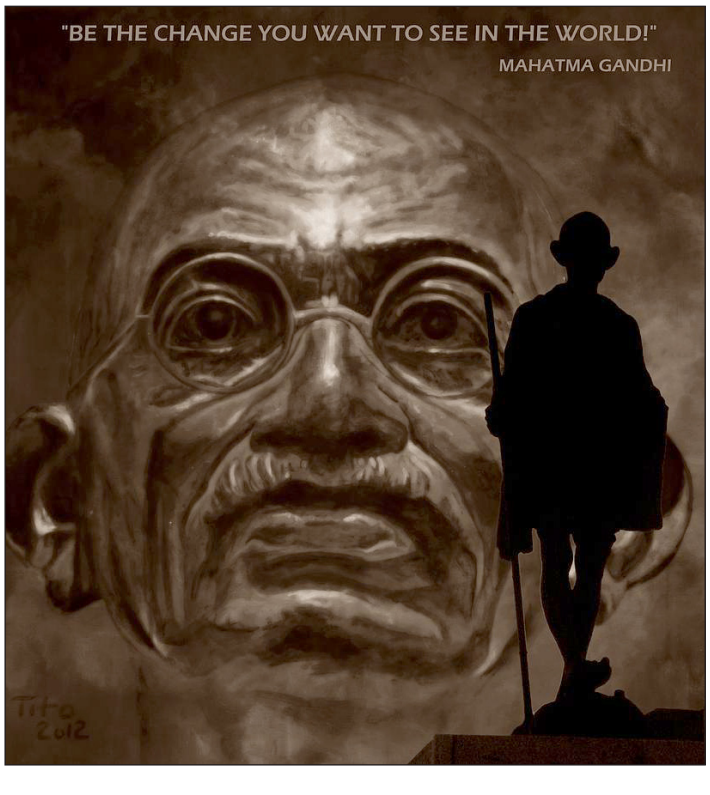

المهاتما غاندي.. حياة وجهاد

اعداد/ منارات

تحول غاندي إلى أسطورة فريدة لفتت أنظار العالم كله وبلغ مكانة لم يبلغها أحد من الهنود قبله أو بعده فلقد قاد غاندي حملات وطنية لتخفيف حدة الفقر وزيادة حقوق المرأة وبناء وئام ديني ووطني وزيادة الاعتماد على الذات اقتصاديا.
فصدر عنه العديد من الكتب والدراسات التي تتناول تلك الشخصية الثرية ومنها كتاب "المهاتما غاندي.. حياته وجهاده"، الصادر حديثا عن الهيئة العامة لقصور الثقافة للكاتب فتحي رضوان الذي يكشف فيه العديد من الجوانب في حياة غاندي وجهاده.
يبدأ المؤلف كتابه عن غاندي فيرصد عنه انه كان مزجا دقيقا من والديه فكان يثير الدهشة والإعجاب ويستوقف الدارسين والفاحصين فكان جده لأبيه وزيرا للمالية في ولاية جوناجاد الهندية وكان يمتاز بالمهارة في الحكم وصار على دربه ابنه والد غاندي فكان أيضا من رجال الحكم واتصف بالصلابة والعند وقوة النفس فورث غاندي هذه الصفات التي كان أثرا كبيرا في شخصيته بعد ذلك.
ويضيف: حدث تحول كبير لغاندي فبعد أن انتهي من المرحلة الثانوية أراد الالتحاق بالكلية فالتحق بإحدى الكليات لكنه كان لا يحب الدراسة بها فاقترح احد أقاربه عليه السفر للتعليم في انجلترا فسافر بالفعل رغم الصعوبات التي قابلها من جانب أهله إلا انه انتصر وسافر ودرس القانون وتأثر بمظاهر الحياة في انجلترا وقد انتهي من دراسته في عام ١٨٩١ وبعدها عاد إلى الهند.
وننتقل إلي المعركة الأولي في حياة غاندي، بحسب الكاتب، وذلك عندما رجع إلى بلاده حيث لم يجد الجو مناسبا للعمل فسافر إلى جنوب أفريقيا حيث كان في ذلك الوقت الكثير من الهنود يسافرون للعمل في جنوب أفريقيا لكن هناك في انتظاره مفاجأة كبرى حيث رأى تلك التفرقة العنصرية الشديدة للهنود والاضطهادات التي يتعرضون لها فكانوا لا يخرجون في المساء من منازلهم إلا بتصريح وكذلك لا يستطيعون السير أمام الأماكن المهمة خاصة وأن لونه اسمر فتعرض للتعسف والاعتداء لكنه ما لبث أن قاوم وأدرك أن رسالته هي الدفاع عن الهنود في جنوب أفريقيا فبدأ يترافع في القضايا ويكسبها.
ويذكر المؤلف فتحي رضوان أن غاندي قابل المندوب البريطاني حيث كانت جنوب أفريقيا تحت الاحتلال الانجليزي فعرض عليه هذه الانتهاكات وهذه القوانين الظالمة فهنا كما يقول المؤلف "لقد بدأت أوربا عارية أمام غاندي سقط عنها كل ستر وظهرت كل فضائحها كل عيوبها لم تكن أوربا في جنوب أفريقيا هي أوربا ذات المبادئ والتعاليم الإنسانية بل كانت أوربا قارة سوداء ضميرها اشد سوادا من وجه الزنوج " فكان تلك معركة غاندي الأولى أما معركته الكبرى عندما ترك جنوب أفريقيا وعاد إلى وطنه الهند الذي كان تحت الاحتلال الانجليزي.
وننتقل إلي المعركة الكبرى في حياة غاندي وهي استقلال الهند وذلك عندما عاد غاندي إلى الهند عام ١٩١٢ واخذ يطوف البلاد ويتصل بقراها ويزور مدنها إتباعا لنصيحة أستاذه زعيم الهند السابق "جوكهال" وركز عمله العام على النضال ضد الظلم الاجتماعي من جهة وضد الاستعمار من جهة أخرى واهتم بشكل خاص بمشاكل العمال والفلاحين والمنبوذين وبدأ يعترض على الأمور والأحوال السيئة فاعترض علي قانون الهجرة ويحرك الرأي العام ضد هذا القانون كذلك وقف مع الفلاحون الذين تعرضوا لدفع ضرائب فوق طاقتهم، لذلك قام بتنظيم احتجاجات بمشاركة الفلاحين والمزارعين والعمال في المناطق الحضرية ضد ضرائب الأراضي المفرطة والتمييز في المعاملة.
وكان في كل مكان يتكلم ويتلقي الحماسة والتأييد وبدأ يتعرض للمضايقات من الحكومة والشرطة ولكنه كان يقف أمامهم بكل قوة والرد علي كلامهم كما اهتم بالتعليم ودعا الهنديون المتعلمون لتعليم الأطفال في الأماكن التي لا يوجد بها مدارس فلب الدعوة عدد كبير من الهنديين وفي غضون سنوات قليلة من العمل الوطني أصبح الزعيم الأكثر شعبية.
ويؤكد المؤلف أن مواقف غاندي تميزت من الاحتلال البريطاني لشبه القارة الهندية في عمومها بالصلابة المبدئية التي لا تلغي أحيانا المرونة التكتيكية وتسبب تنقله بين المواقف القومية المتصلبة والتسويات المرحلية المهادنة حرجا مع خصومه ومؤيديه وصل أحيانا إلى حد التخوين والطعن في مصداقية نضاله الوطني من قبل المعارضين لأسلوبه فعلى سبيل المثال تعاون غاندي مع بريطانيا في الحرب العالمية الأولي ضد دول المحور كما شارك عام ١٩١٨ بناء على طلب من الحاكم البريطاني في الهند بمؤتمر "دلهي الحربي " ثم انتقل للمعارضة المباشرة للسياسة البريطانية بين ١٩١٨ و ١٩٢٢ وطالب خلال تلك الفترة بالاستقلال التام للهند. ويبرز المؤلف قيام غاندي بحركة عصيان مدني عام ١٩٢٢ صعدت من الغضب الشعبي الذي وصل في بعض الأحيان إلى صدام بين الجماهير وقوات الأمن والشرطة البريطانية مما دفعه إلى إيقاف هذه الحركة ورغم ذلك حكمت عليه السلطات البريطانية بالسجن ست سنوات ثم عادت وأفرجت عنه في عام ١٩٢٤.
ويشير المؤلف إلى أنه في عام ١٩٣٢ قرر غاندي البدء بصيام حتى الموت احتجاجا على مشروع قانون يكرس التمييز في الانتخابات ضد المنبوذين الهنود، مما دفع بالزعماء السياسيين والدينيين إلى التفاوض والتوصل إلى "اتفاقية بونا" التي قضت بزيادة عدد النواب "المنبوذين" وإلغاء نظام التمييز الانتخابي.
ويرصد المؤلف مسيرة الملح التي قام بها غاندي فقد تحدى غاندي القوانين البريطانية التي كانت تحصر استخراج الملح بالسلطات البريطانية مما أوقع هذه السلطات في مأزق وقاد مسيرة شعبية توجه بها إلي البحر لاستخراج الملح من هناك وفي عام ١٩٣١ أنهى هذا العصيان بعد توصل الطرفين إلى حل وسط ووقع معاهدة غاندي ايروين.
ويختم المؤلف فيقول عن غاندي " ستعود الناس لتذكره ستصفه الأقلام ستصوره ألواح المصورين سيبقي حيا في ذاكرة الهنود في ذاكرة التاريخ كله من سجن إلى سجن ومن صوم إلى الصوم ومن عذاب إلى عذاب والابتسامة على شفته.

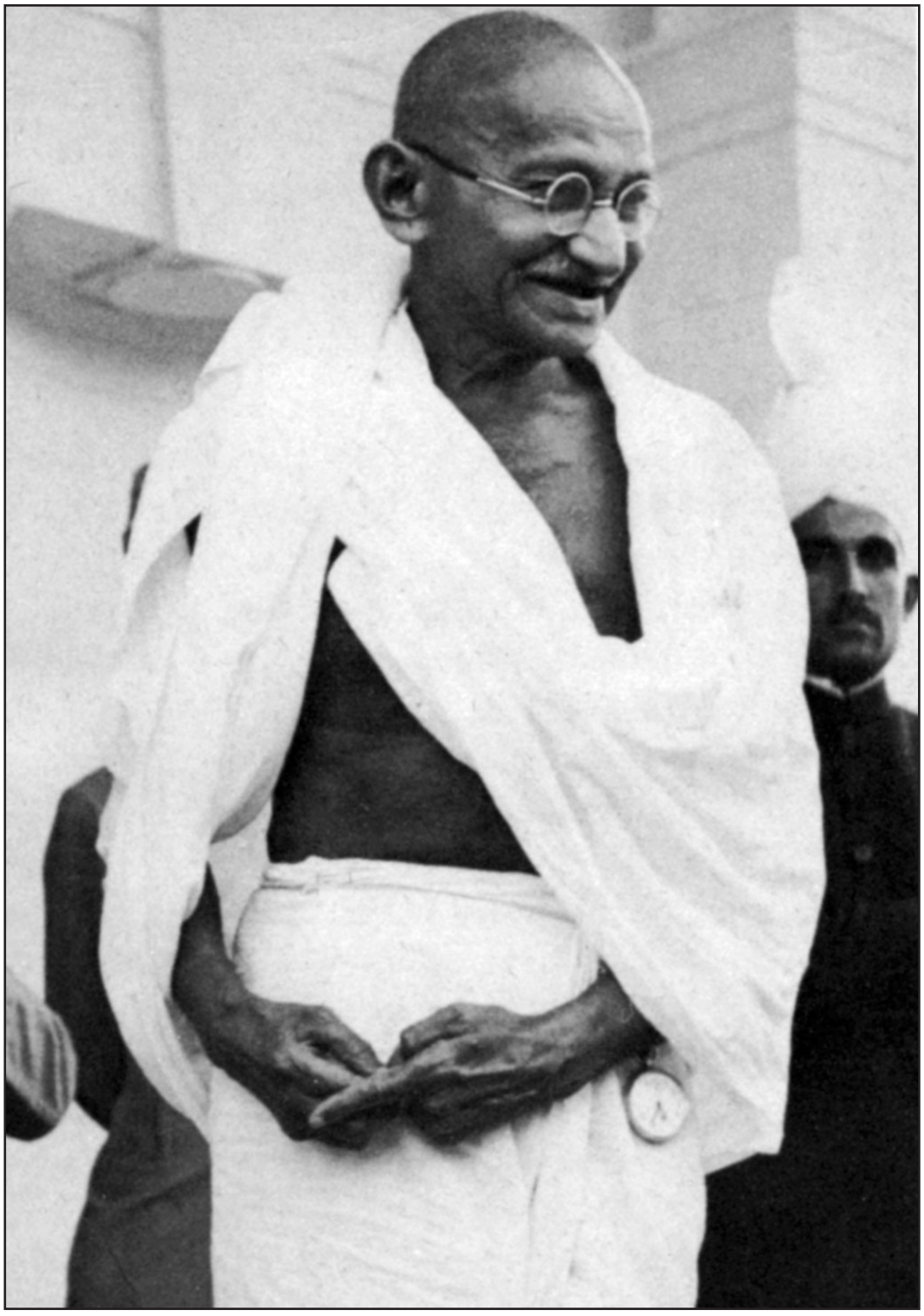

جان ماري موللر يكتب عن

"غاندي وحكمة اللاعنف"

يحيى الأوسي

في ظل كل هذا العنف الذي يلف حياتنا ويضرب في عمق ذواتنا، يبدو الكلام عن اللاعنف ضرباً من السير عكس كل ما هو سائد، فرائحة العنف تملأ أماكننا.. نفوسنا.. لغتنا وترفض أن تخلي مكانها لتلك اللغة التي قال عنها جان ماري موللر الفيلسوف الفرنسي ومناضل اللاعنف بأنها اللغة العالمية التي حلم بها غاندي كي تكون لغة لحوار الثقافات. جان ماري موللر وكما جاء في كتابه الأخير قاموس اللاعنف الصادر عن دار معابر بات مرجعاً عالمياً في نشر ثقافة اللاعنف، وهو من مؤسسي حركة "من أجل خيار لا عنفي". جاب العالم متفاعلاً ومناصراً لأبرز المجموعات اللاعنفية وأحياناً مشاركاً ميدانياً فيها. وقد حط به الرحال مؤخراً وبدعوة من دار معابر ضيفاً محاضراً حول اللاعنف في المركز الثقافي الفرنسي.

يقول جان ماري موللر في بداية محاضرته: ستون عاماً مرت على الرحيل المأساوي لغاندي و أربعون على رحيل مارتن لوثر كينغ بوصفهما الوجهين البارزين في مسيرة اللاعنف، إلا أننا لا نزال بعيدين اليوم عن تمثل رسالة اللاعنف، فالعنف لا يزال منتشراً، وما قاله جواهر لال نهرو رفيق غاندي يوم رحيله هو خير تعبير عما نحن فيه اليوم "لقد انطفأ نور حياتنا، وفي كل مكان ليس إلا الظلام.. حبيبنا الغالي و أبو أمتنا غاب.. النور انطفأ".

غاندي أفضل الوسطاء

أية صورة نحملها لغاندي؟ يتساءل جان ماري موللر. حقاً لقد كان هذا الرجل أفضل الوسطاء بين الشرق والغرب، لقد كان هذا الرجل في أفضل موقع لإدارة حوار الحضارات، وجاءت حياته و موته كي تخدم الكرامة الإنسانية وحرية البشر. لقد أراد أن يصل بنا إلى البعد العالمي الإنساني عبر التوصل إلى لغة عالمية لحوار الثقافات ولا بد اليوم من مواصلة البحث عن تلك اللغة العالمية التي حلم بها غاندي لتكون لغة لحوار الثقافات.

غاندي لم يقل يوماً أنه ابتكر اللاعنف لأنه متجذر في أقدم المنقولات الدينية والفلسفية التي كونت الإرث الإنساني ولكن على الرغم من ذلك يمكن لنا أن نقول أن هناك قبل غاندي وبعد غاندي في اللاعنف. وهنا يتوقف جان ماري موللر عند المعنى الفلسفي للعنف فيقول: الفلسفة ليست حكراً على أساتذة الفلسفة وحدهم، إنها ستراتيجية عمل وسياسة لحل النزاعات، والخطر الحقيقي الذي يتهددها هو أن الواقعية السياسية تفرض الإبتعاد عن الإقتضاء الأخلاقي والمعنوي ولطالما حضنا غاندي على تحقيق المصالحة بين الحكمة والسياسة.

في تعريف اللاعنف

لغاندي نحو تسعين مجلداً في اللاعنف، لا يدعي جان ماري بأنه أكمل قراءتها جميعها، لأنه سيحتاج إلى حيوات متعددة كي يكمل قراءتها كما يقول. لكنه أورد لنا تعريفاً للاعنف يعتقد إنه الأكثر تعبيراً عنه وهو الغياب الكامل لسوء النية حيال كل ما هو حي. ويضيف: لقد كان اللاعنف مبدأ بالنسبة لغاندي وهو يعبر عن حقيقة البشر، في حين يدمر العنف حقيقة الإنسان، وحينما يعتقد بشري بأنه يمتلك الحقيقة فمن المؤكد أنه سيدافع عنها ضد الأشرار، وقد تسوّل له نفسه استخدام العنف للدفاع عن هذه الحقيقة وهنا مكمن الخطر. كذلك هناك من يقول أن هناك عنفا جيدا وعنفا سيئا وهذا ما يثير البلبلة، فنخاطر بأننا قد نسيء فهم بعضنا البعض وعلى هذا يجب أن يكون هناك صرامة فكرية في هذا حتى نميز بينهما.

خلق النزاع في حالة الظلم

قبل غاندي لم يكن هناك نزاع بين البريطانيين والهنود لأن العلاقة بين العبد والسيد هي حياة سلام طالما بقي العبد مستكيناً، لكن هذا السلام ينتهي عندما يبدأ العبد بالمطالبة بحقوقه وحريته. ولقد أوجد غاندي النزاع بين الهنود والبريطانيين عندما طالب بتحقيق المساواة وطالب بالحصول على إستقلال بلاده. إذاً يجب أن نقبل بوجود النزاع، وهنا لا يصبح اللاعنف رفضاً للنزاع ولا للنضال! لكن وجود الظلم يخل بتوازن القوى وعندها يصبح لابد من قوة تجابه قوة الظلم وعلينا التمييز بين القوة والعنف فهناك قوة لا عنيفة إنها قوة العمل اللاعنفي. وحسب غاندي فالعنف ليس حلاً للنزاع لأنه إقصاء وإزالة للآخر، لكنه إخلال بالنزاع و هو سيرورة قتل وموت.

شرعنة العنف

لا يمكن تبرير العنف أو شرعنته، فالإنسان هو حيوان شرعي يريد أن يكون دائماً على حق، والإنسان العنيف يسيطر ليبرر العنف، وليبني عقائد للعنف المشروع بنظره كالدفاع عن النفس وفكرة الآخر المعتدي. وهنا يمكن الحديث عن معنى كلمة الـلا في اللاعنف على اعتبارها ترفض أي تبرير للعنف وتنزع أية شرعية عنه وتقطع الطريق على أية صلة بالعنف الذي هو جريمة ضد الإنسانية وليس حقاً من حقوق الإنسان فالسيطرة على هذه الآلية العمياء للعنف مستحيلة، لأن الضرورة لا تبيح الشرعية حتى وإن بدا شرعياً فهو ليس شرعياً.

بين خياري الجبن والعنف

أحياناً يصبح المرء بين خياري الجبن والعنف، فأيهما يختار؟ لقد قال غاندي عندما سئل عن موقفه بين الجبن والعنف أنه ينصح بالعنف لكنه أردف إن اللاعنف هو أفضل وأسمى بما لا يقارن عن العنف. فهو يتطلب شجاعة كبيرة. وهو عندما بدأ حملته بالعصيان المدني كتب إنذارا لنائب الملك البريطاني قال له فيه:

إذا لم تعترفوا باستقلال الهند سنبدأ بالمقاومة، وبدأ إنذاره هذا بكلمة صديقي العزيز وقد أغضبت هذه العبارة أصدقاءه لكنهم أدركوا أن غاندي كان يحترم شخصية الإنكليز لكنه لم يحترم استعمارهم لبلاده وإذلالهم للشعب الهندي.

لقد سار غاندي مشياً على الأقدام مئات الكيلو مترات واستنفر الفلاحين للعصيان المدني وهو ما أدى لا حقا إلى اعتقال غاندي وأعتقل معه الآلاف من أبناء الشعب الهندي حتى فاضت السجون ثم أطلق سراحهم جميعاً.

العنف ليس قضاءً محتوماً

لقد رفض غاندي التسليم بفكرة أن العنف هو قضاء محتوم وإن كان يظهر لنا بأنه قضاء محتوم، ولأنه من صنع البشر فنحن قادرين على تفكيك هذا القضاء، عندها فقط نستطيع أن نقدم لأطفالنا حق الحلم بعالم تملؤه الحرية والكرامة. حقاً إن اللاعنف يدعونا لتقويض جدران العنف والكراهية كي نبني مكانها جسوراً.

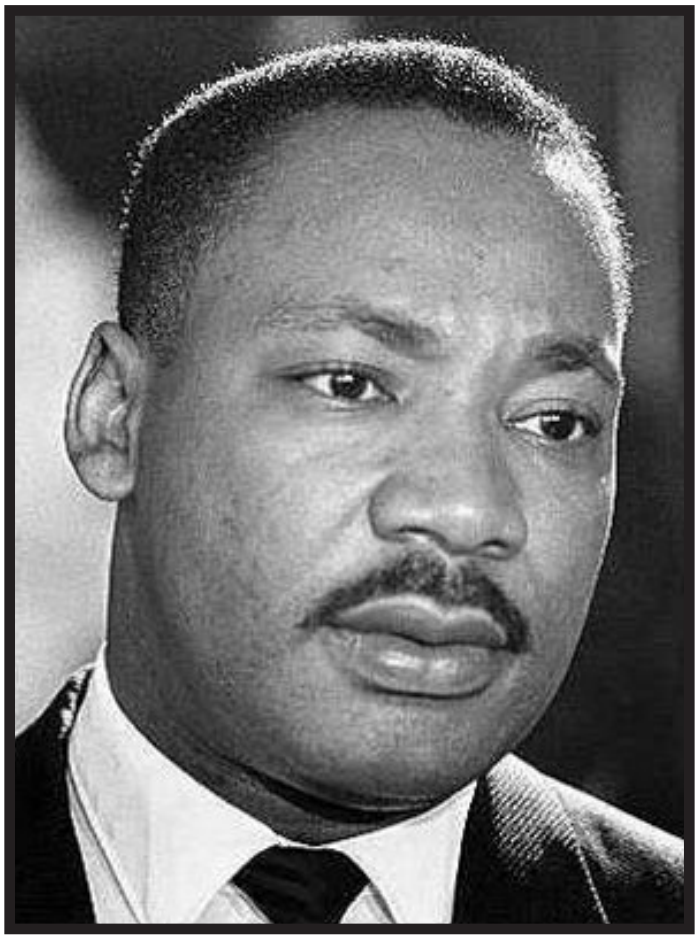

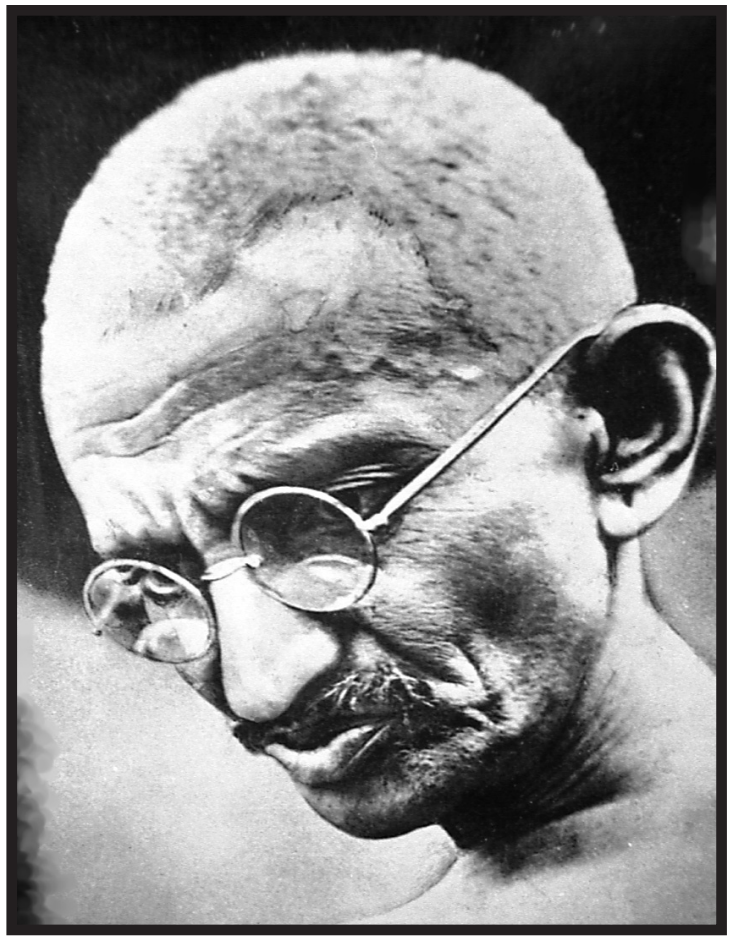

اللاعنف بين مارتن لوثر كينغ وغاندي

تأثر القس الزنجي مارتن لوثر كينغ كثيراً بدعوات الزعيم الهندي المهاتما غاندي رائد مبدأ اللاعنف، بأفكاره ونظرياته وأساليبه العملية في تطبيق هذا المبدأ في الواقع ونجاحه في الوصول إلى الأهداف التي تبناها خلال نضاله السياسي والاجتماعي.. فقد اعتمد غاندي على مبدأ اللاعنف الذي يستند إلى احترام عميق للقانون، ويدعو الناس إليه بقوله: إن على الذين يستخدمونه أن يفعلوا ذلك بطريقة غير عنيفة دائما(١) ويركز غاندي أيضا على واجب الطاعة المدنية العام، وعلى ضرورة محاولة كل الصور الدستورية للعمل السياسي أولاً، وهذا التصور الذي يطرح هو تصور مطلق للاّعنف، وهو التصور الذي عدَّ نظرية سياسية وصلت إلى مصاف المبادئ السامية للإنسانية.

د. أسعد الامارة

لقد رسخ ((المهاتما غاندي)) مبادئ اللاعنف والتي يطلق عليها أحياناً مبدأ المسالمة، ويقول بهذا الصدد: إن عقيدتي بشأن اللاعنف لم تعتمد على سلطان شخص بل نشأت من دراستي لكل أديان العالم. ويضيف؛ أن الديانات المختلفة قاطبة هي زهور روضة واحدة، وأفنان دوحة باسقة(٢).

أما مارتن لوثر كينغ ((الأصغر)) فقد جعل من رسالة ومنهج المهاتما غاندي في اللاعنف حقيقة، بقوله: ربما يبلغ مبدأ اللاعنف إلى العالم من خلال الزنجي(٣).

لقد كان (مارتن لوثر كينغ) لا يميل إلى النزعة القتالية كثيراً، وكان قادراً على الحوار المناسب مع كل حالة من الحالات حتى النهاية على أن ترضي الطرفين.. فهو يؤمن إيماناً كاملاً باللاعنف، ويردد دائماً أن اللاعنف قد ظهر، ولكن كينغ الغاندي لم يظهر بعد.

إن مارتن لوثر كينغ كان باحثاً جاداً عن فهم يمكّن من إزالة الأفات الاجتماعية، وقد وجد هذه التوجهات والآراء تطبق بشكل مباشر في مبدأ غاندي للاعنف ووجد طرائق وأساليب غاندي في سبيل النضال ضد التفرقة العنصرية في أمريكا(٤).

إن مبدأ اللاعنف نشأ لدى غاندي عندما نشر كتابه الشهير (استقلال الهند ١٩٠٨)، وعبر فيه عن هذا المبدأ بوصفه أداة للنضال السياسي، وأعلن جوهر هذا المبدأ في فلسفته لمقولته الشهيرة: (كل شيء يقهر أمام العذاب والإرادة)، وإزاء ذلك يضيف غاندي على هذا المبدأ بقوله: إن زوال الفناء التام والإعراض الدائم عن اللذات يبطل كل إرادة شر نحو الكائنات الأخرى، ويُبلِّغ صاحبه درجة معرفة وحدة الحياة والاتحاد مع كل شيء في الكون(٥).

إن مبدأ اللاعنف أو ما يسمى بالمفهوم السياسي بالعصيان المدني أو ما يسميه غاندي »مبدأ المسالمة« اكتسب قوته وثباته من أساليب المهاتما غاندي أوائل القرن العشرين، ومارسه من اجل قضية تحرير الهند من الاستعمار البريطاني، ونجح إلى حد كبير في تحقيق أهدافه، وقد استعاره القس الزنجي، داعية السلام لتحرير السود في أمريكا »مارتن لوثر كينغ«. وقد تبنى فكرة غاندي وأكد ذلك بقوله: إن روح الحركة وحيويتها قد جاءت من الدين، وأما طريقتها فقد جاءت من غاندي(٦). رغم أن بعض نهجه قد يختلف بعض الشيء عن تعاليم غاندي التي ترفض الاعتراف بالسلطة أو بوجود الحكومة... وإزاء ذلك يرى (غاندي) أن اللاعنف هو التعبير النشيط العملي لمثل هذا الشعور، لأن التطهير الشخصي يفضي إلى تطهير الآخرين ويحتم قمع الشر والتضحية بالذات، أو كما قال: ينبغي للشعب أن يقدم على مذابح الحرية قربان قلب طاهر وعذاباً صابراً، سيبلى صبركم بلاءً شديداً بضروب من الاستفزاز والاضطهاد. ولكن كما قيل: لا يسلم إلا من صبر إلى النهاية، بهذه الطريقة وحدها تغنمون الحرية الحقيقية والاستقلال الحقيقي(٧).

أما (كينغ) فقد انطلق من فكرة اللاعنف وهي فكرة صحيحة، أراد أن يلفت لها الانتباه بل ذهب إلى حد أبعد بقوله: علينا أن نقابل القوة المادية بالقوة الروحية، ويجب علينا أن لا نسيء إلى إخواننا البيض(٨).

لقد تحقق لهذا الداعية الزنجي بعض ما طالب به من خلال مبدأ اللاعنف الذي استخدمه من أجل قضيته العادلة، وأول ما تحقق هو إزالة التمييز العنصري في القطارات والحافلات وفي الوسائل الأخرى، وقد كان (كينغ) سعيداً بأمر الحكومة، لأنه حقق انتصاراً مذهلاً بأساليب اللاعنف. وإزاء ذلك علق قائلاً: لقد كنا شعباً مسالماً دائماً، نتحمل مشاكلنا بالكفاح الإنساني الفريد من نوعه، مهما تكرر استخدام العنف ضدنا.. وفي مقاربة مع رأي غاندي، زعيم الهند ورائد مبدأ اللاعنف في هذه الاستراتيجية، يقول غاندي: لقد اقتنعتم الآن بأني أطلب منهم المسالمة عند مطالبتهم بحقوقهم الإنسانية المشروعة، ولكنكم إذا استعملتم معي العنف، وأمرتم بسجني، فسوف أعلن على الملأ صيامي، وإضرابي عن الطعام(٩)...

ترى الفلسفة التي اعتمدها غاندي في نضاله على مبدأ اللاعنف ما يلي: ألق جانباً بالإساءة للغير، وبالغضب، واعرضَ عن الاحتقار، وسوء النية، لا تغذي في نفسك الحقد، حتى ولا على الذين يسيئون إليك، فليكن لنا تجاه جميع المخلوقات الحية عواطف النبل، والمحبة، وحسن التعامل(١٠)، وبهذه المسلمات وغيرها وعى غاندي أتباعه، وكذلك مارتن لوثر كينغ مؤيديه إلى انتهاج هذا المبدأ في الوصول إلى الأهداف السامية.. فقد كان (كينغ) يحث الناس على إطاعة بعض القوانين ورفض بعض القوانين الأخرى، فقوله: هناك نوعان من القوانين، قوانين عادلة، وقوانين غير عادلة، وان القانون غير العادل هو ليس بقانون على الإطلاق(١١).. أما غاندي فقد طلب من أتباعه أن لا يذعنوا لأي قانون من قوانين الحكومة رغم احترامه لها.. وإطاعته للدولة..

إن فلسفة اللاعنف التي سادت في الهند اعتمدت مسلمات أساسية، أولها: عدم مقابلة الشر بالشر، ثانياً: إن مقابلة الإساءة بالمعروف تلقن المعتدي درساً لا ينساه حتى ولو اضطر الإنسان العاقل إلى تكرار التسامح ضد الإساءة ومقابلتها بالمعروف. وقول غاندي وهو يخطب في الناس ويقول لهم: لن نغلبهم إذا نحن استعملنا العنف، وإذا فرض وانهم اعتدوا عليكم فلا تقابلوا الشر بالشر، يكفي أن يؤمن كل واحد منكم بأنه على حق((١٢).

وإزاء ذلك يتابع (كينغ) بقوله: إن الناس لا يقدرون على أن يختلفوا في الرأي دون كراهية، وإن الخلافات أصبحت تجرب عن طريق العنف والاغتيال ونحن الذين خلقنا مناخ العنف والكره. ويطرح أفكاره الرئيسة في:

١- اللاعنف.
٢- التغيير الاجتماعي.
٣- الفرد ومسؤولية المجتمع.
٤- ثمن الحرية.

أما غاندي فيرى أن جميع المخلوقات تبتغي السعادة، فليشملها عطفك إذن، ولتسع لها بأجمعها. أما (كينغ) فيعتقد أن اللاعنف لا يمكن أن يستمر طويلاً وأن يحتفظ ببقائه دون مؤيدين واتباع يناصرونه. ويجب أن يكون طريقه في الحياة..

هذه الدعوات التي تبناها غاندي ومارتن لوثر كينج حققت الانتصارات، وظفرت بالأنصار، إلا أنها كفلسفة خاصة بالمحبة لم تكن عملية دائماً، وإن زاد الإصرار أكثر على تكريس أعمق للاعنف وشمل دولاً أخرى ومذاهب شتى وحركات تحررية جديدة بهذا الاتجاه السلمي.

غاندي ومبدأ اللاعنف، هل يجد له مكاناً في عراق اليوم؟

نبيل الحيدري

تحولت صورة المهاتما غاندي، الرجل النحيل نصف العاري بنظارته المميزة وهو يتكئ على عصاه، الى رمز لقوة السلم ومبدأ اللاعنف التي بشّر بها ومارسها طوال حياة هذا القائد الذي تمر اليوم (٣٠ كانون الثاني) ذكرى مقتله على يد احد المتعصبين الهندوس عام ١٩٤٨.

كفاح غاندي ونضاله ضد الظلم الاجتماعي والاستعمار، من خلال ترسيخ مبدأ اللاعنف، تعدى ساحة نضاله في بلاده الهند لتصل الى العديد من أصقاع الأرض، إذ نجح هذا المحامي الشاب عندما كان في جنوب أفريقيا في قيادة التظاهرات والإضرابات، ساعياً الى إنهاء التمييز الذي تتعرض له الأقليات، وحصول بلاده لاحقا على الاستقلال من خلال تفعيل حركات العصيان المدني والتظاهر السلمي، والحث على تطوير قدرات وطاقة مواطنيه الفقراء، ومقاطعة المنتجات البريطانية.

وكان غاندي دعا بقوة قبيل مقتله الى الوحدة الوطنية بين الهندوس والمسلمين مطالباً الأكثرية الهندوسية باحترام حقوق الأقلية المسلمة في بلاده، ترى هل ينفع اليوم اعتماد مبدأ اللاعنف الذي اقترن بغاندي؟

الناشطة شروق العبايجي تؤيد ذلك باعتباره مبدأ إنسانياً، مشترطة تعاون جميع مكونات المجتمع والدولة في ترسيخ المبدأ وسلوكه، بحسب رأيها، معترفة بان المبدأ لا يعني السلبية أمام الجريمة، داعية الى اعتماد ممارسات لاعنفية بمواجهة العنف، لكن الأمر يحتاج الى جهود سلمية وتوعوية وسياسية اجتماعية، مشددة على انه لا يعني المسامحة غير المشروطة بحق المعتدين على المجتمع.

وتتوقف الناشطة العبايجي أمام قول غاندي؛ "العين بالعين تجعل العالم بأكمله أعمى"، متمنية أن يكون شعارا إنسانيا، مشيرة الى أن مواجهة العنف بالعنف تعني تسميم الحياة.

يقال أن المهاتما غاندي فقد حياته نتيجة مخالفة بعض مواطنيه لمبدأ اللاعنف الذي بشر به، وإذا ما اتفقت الناشطة شروق العبايجي معه، فان الكاتب باسم الشيخ يعتقد أن اللجوء إلى القوة وروح الانتقام مازالت حاضرة بوضوح في المجتمع العراقي، على الصعيد الاجتماعي والسياسي، وتقلل الأعمال الإرهابية وعمليات القتل واستهداف المدنيين خلال السنوات الأخيرة من فرص تطبيق مبدأ غاندي اللاعنف.. في عراق اليوم، بحسب الشيخ

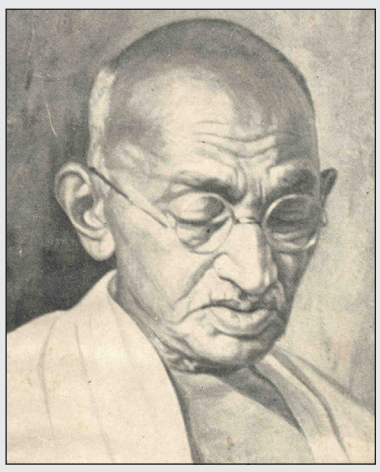

أين نحن من حكمة وتسامح المهاتما غاندي؟

وهب الزعيم الهندي المهاتما غاندي (وتعني الروح العظيمة) حياته لنشر سياسة المقاومة السلمية او اللا عنف ، واستمر على مدى اكثر من ٥٠ سنة يبشر بها والتي حقق بها الاستقلال الكامل للهند من الاستعمار البريطاني. ولد في ٢ تشرين الاول ١٨٦٩ ، وتوفي في ٣٠ كانون الثاني ١٩٤٨، حيث قتل على يد احد المتعصبين الهندوس. ويعتبر تأريخ ميلاد هذا الرجل العظيم، والذي يطلق عليه ابو الامة في ٢ تشرين الاول عطلة وطنية في عموم الهند ، وكذلك يعتبر اليوم الدولي للا عنف في جميع انحاء العالم.

شاكر حسن

وتتخذ سياسة اللا عنف عدة اساليب لتحقيق اغراضها، واهمها

١ – الصيام لمدة طويلة
٢ – المقاطعة
٣ – الاعتصام
٤ – العصيان المدني
٥ – القبول بالسجن
٦ – الاستعداد للتضحية بالنفس

والمقاومة السلمية او سياسة اللا عنف لا تعني اطلاقا السلبية والضعف كما يتخيل البعض بل هي كل القوة اذا آمن بها من يستخدمها.

ويشترط غاندي لنجاح هذه السياسة، تمتع الخصم ببقية من ضمير وحرية تمكنه في النهاية من فتح حوار موضوعي مع الطرف الآخر، وهذا بالتأكيد غير متوفر اطلاقا في جميع حكام العرب الدائمين.

وعلى الرغم من ان هدف المهاتما غاندي هو الابقاء على الهند موحدا ، الا انه اندلعت حروب طائفية بين الاغلبية الهندوسية (حوالي ٨٢٪ من مجموع السكان) وبين الاقلية المسلمة (حوالي ١٣٪ من مجموع السكان) على اثر روج القوات البريطانية من الهند عام ١٩٤٧ والتي ادت فيما بعد الى تقسيم الهند.

قد حاول المهاتما غاندي ايقاف هذه الحرب الطائفية اللعينة بكل الوسائل السلمية وأهمها عن طريق الصيام لعدة ايام متواصلة.

وفي احد الايام وبينما هو ملقى على نقالة من كثرة الاجهاد والصوم الطويل الامد ، تقدم اليه رجل هندوسي غاضب وأخذ يلقي عليه الطعام ويصرخ. كل! كل! ، سوف ادخل جهنم ولكن ليس بسبب قتلك لضميري بصومك الطويل الامد لأجلنا.

واستمر الرجل بالكلام وقال: لقد قتلت طفلا بريئا!

فأستفسر المهاتما غاندي: لماذا فعلت ذلك؟

اصبح الرجل اكثر غضبا ويأسا.

وقال: لقد قتلوا ولدنا ، ابني.

واضاف: المسلمون قتلوا ولدي الوحيد.

فأجابه المهاتما غاندي: هناك طريق واحد يخرجك من جهنم.

فسأله الرجل: كيف؟ ما هو هذا الطريق؟

فقال المهاتما غاندي: ابحث عن طفل قتلا والديه في هذه الحرب وربوه كولدكم بالضبط ، طفل صغير.

ولكن، اضاف الماتما غاندي: تأكد ان يكون هذا الطفل ابن مسلم!!!

ثم سكت برهه ثم اضاف: ويجب ان تربيه تربيه صالحة وتعلمه الاسلام بحيث يكون مسلم!!!

هذا هو صوت الحكمة والتسامح والانسانية الرائع ، فأين نحن من ذلك الرجل العظيم ، الذي تعلم من سيد شباب اهل الجنة الإمام الحسين (ع) ، كيف يكون مظلوما لكي ينتصر حينما قال قولته الشهيرة: تعلمت من الحسين كيف اكون مظلوما فأنتصر.

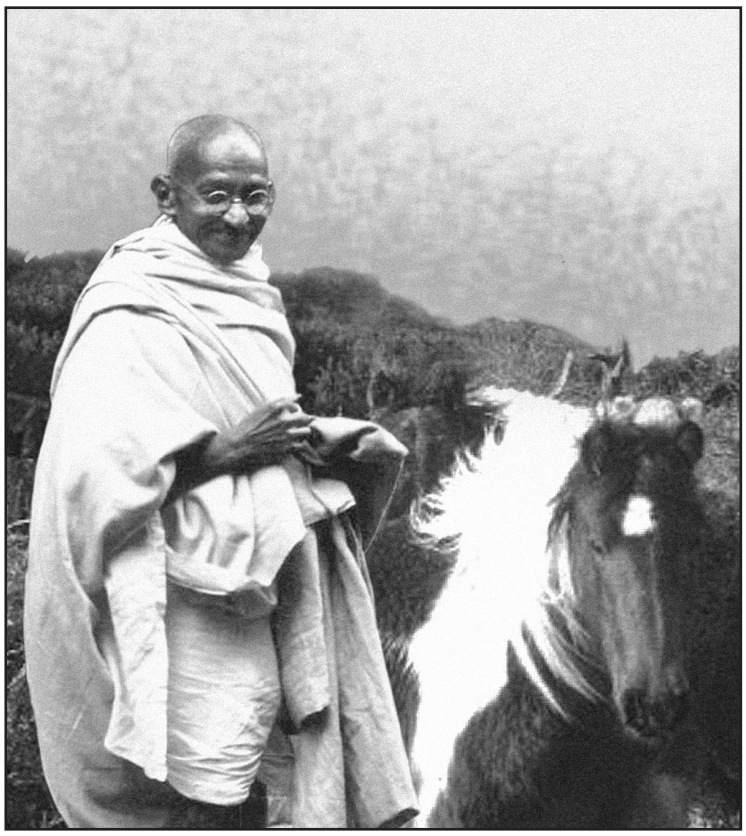

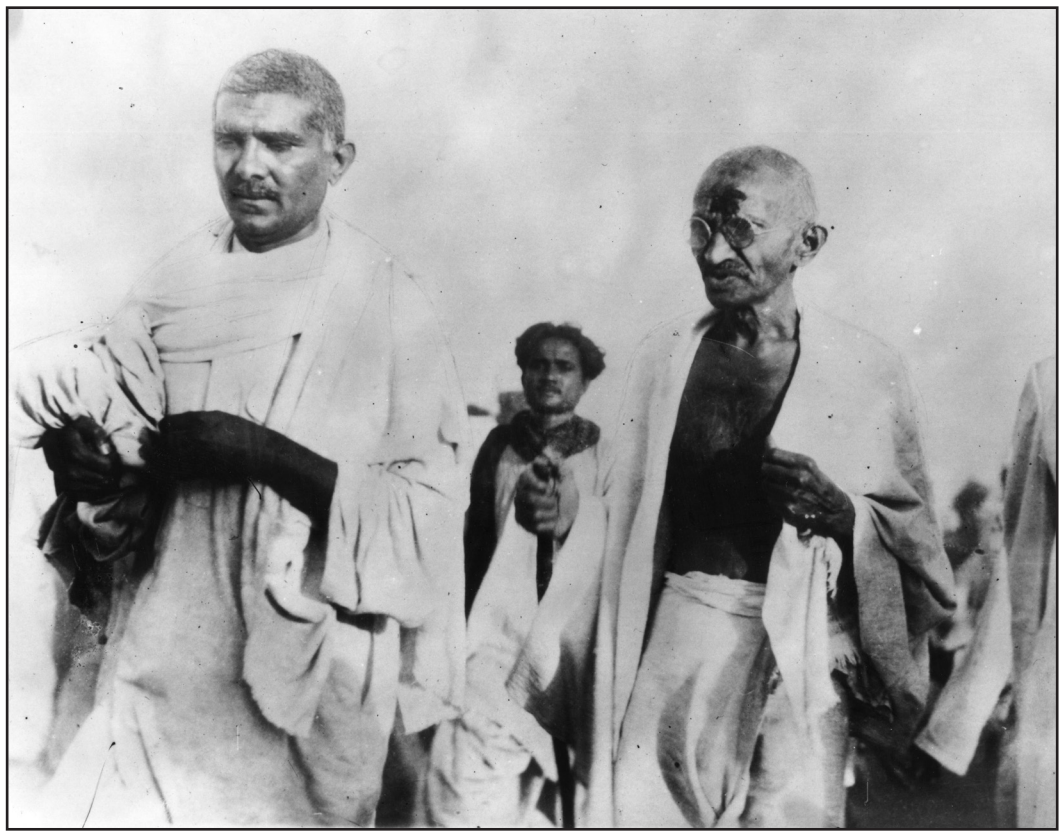

- ساتياغراها - غاندي

قدّم غاندي مفهوماً جديداً في السياسة هو مبدأ "اللاعنف" والكفاح السلمي. إن السياسة الغربية التي اعتمدت يوماً على الحقائق الدينية المطلقة والأوامر "الإلهية" المنزلة قد انقلبت تماماً أيام عصر النهضة وأفكار مكيافيلي. وهكذا تدرّجت السياسة بعد ذلك من سياسة دون إله إلى سياسة دون إنسان (تحت تأثير الاشتراكية العلمية).

لطفي حداد

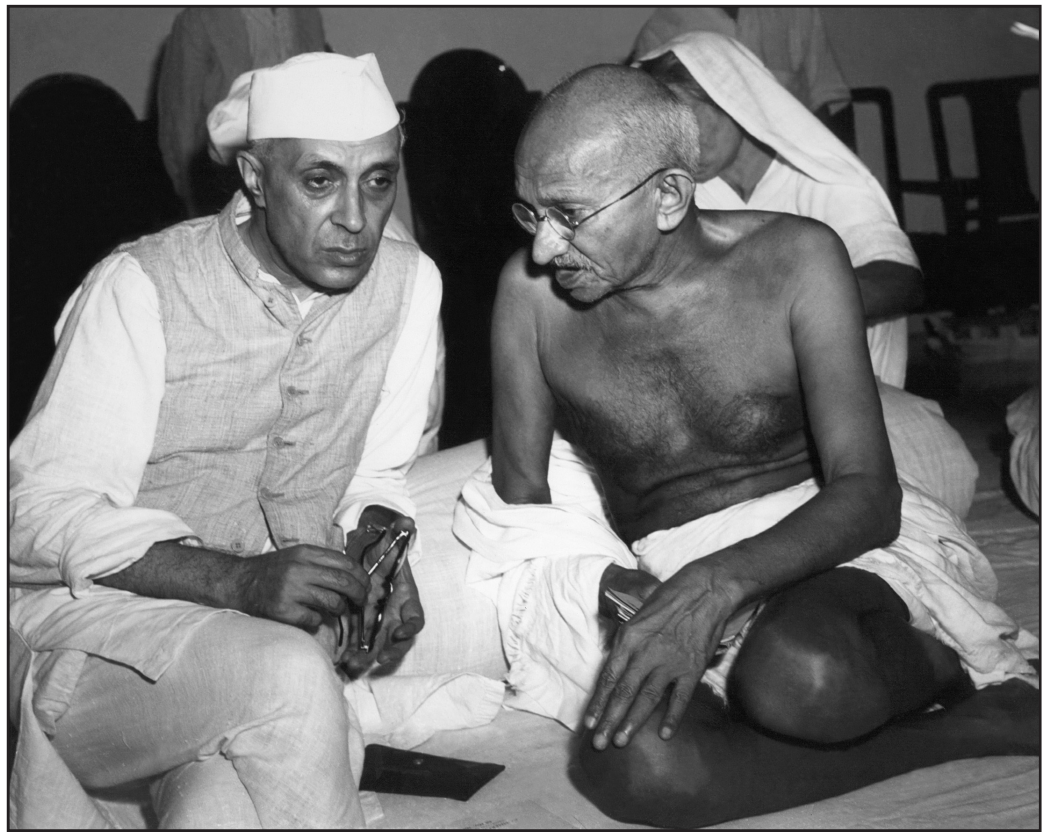

وكذلك انتقل "موت الله" حسب نيتشه إلى تعظيم وتمجيد الإنسان، وبالتالي موته داخل النظام التكنولوجي الهائل. ويقف "غاندي" من كل ذلك وحيداً يقود أربعمئة مليون هندي في أربعينات القرن العشرين، إلى الكفاح اللاعنيف دون أوامر إلهية منزلة ودون مكيافيلية خانقة ودون موت الآلهة وموت البشر.

يفهم غاندي السياسة كإيمان وطريقة حياة منفتحة على الآخرين، ومصغية للتاريخ، وتطور البشرية ونمو المفاهيم. ويدخل أفكاراً روحانية – من إيمانه الديني الشرقي – في قلب العالم السياسي الشرير والمخادع والدموي. فيصير لديه جبهة روحية وثقافية وإنسانية تحمل مفاهيم رائعة كفرح العطاء وعظمة الإبداع وشجاعة الموت (بدلاً من شجاعة القتل).

ينفتح غاندي في حوار إنساني على جميع الحضارات والثقافات والديانات فيقول "إنني لا أؤمن بألوهية "فيدا" الحصرية، بل أؤمن بأن الكتاب المقدس والقرآن وزندافستا هي من وحي مثل وحي الفيدا".

ويقول أيضاً: "درست القرآن واليهودية والمسيحية وديانة زرادشت ووصلت إلى النتيجة القائلة بأن جميع المذاهب صحيحة، وأن كل ديانة ناقصة لأنها تؤول الحقيقة بذكائنا الضعيف وقلوبنا الناقصة". ويطور غاندي شيئاً فشيئاً مفهوم "ساتيا غراها" الذي يلخص جوهر نظريته السياسية ويعني "لا يوجد سوى الحقيقة" وهذا المفهوم يختلف عن الديمقراطية المستندة إلى النسبية الفردية والمرتبطة باقتصاد السوق والمحققة بالحلول التوفيقية.

وبالعكس فإن ممارسة الساتيا غراها تؤمن بأن الآخر لديه بعض الحقيقة، وهي لا تتطلب التخلي عن الحقيقة عند أي من الطرفين للوصول إلى حلول توفيقية.. فهناك حقيقة عند الآخر ومن يتعلق بالحقيقة لا يقبل إنهاء الآخر وإلغاءه، فهو لا يجابه خصماً أو عدواً بل وضعاً خاطئاً يجب تخطيه دون إرغام الآخر على ترك الحقيقة وإنهائها، وهذا المفهوم مرتبط تماماً بمفهوم اللاعنف (أهيمسا) الذي يتطلب الشجاعة وقبول الألم وحتى الموت.

فالذي يرفض القتل هو أشجع من الذي يقتل، والذي يتقبل الألم والموت هو أشجع من الذي يرفض إبداع علاقة إنسانية مع الآخر المختلف. وهنا تبدأ الصعوبة الحقيقية في تقبل هذا المفهوم في عالم السياسة لأنه لا يمكن رؤية النتائج المباشرة له. فمفهوم الألم عند الغرب مرفوض، وهو غير مقبول عند غاندي كقيمة وإنما كنظام نفساني محرّر يتغلب على الخوف ويخلق علاقة مباشرة مع الآخر المختلف ويفتح ثغرة في خطوط الدفاع العقلية والنفسية للآخر العنيف.

ومن الأمثلة الواقعية القوية موقف غاندي في عام ١٩٤٧ في كلكتا حين بدأ صومه من أجل المذابح الدموية بين المسلمين والهندوس والتي لم يستطع كبحها ٥٥٠٠٠ رجل من الجيش.. وبعد أيام بدأ الرجال المسلحون من الطرفين المتخاصمين يأتون إلى غاندي ويرمون بأسلحتهم عند قدميه.

يقول غاندي عن الألم الفدائي أو المخلص: إنني لا أفرح حين أرضى أن يقدم آلاف الناس حياتهم على مذبح ساثياغراها، بل أرضى لأن النتائج على المدى البعيد هي تضاؤل خسارات الأرواح وفوق هذا فإن مثل هذا العمل يشرّف الذين يقدمون حياتهم على هذا النحو وإن تضحيتهم تزيد ثروة العالم الأخلاقية.

وهكذا يصبح العصيان المدني غير المسلح، والمظاهرات السلمية، والإضراب في المعامل والإدارات والموانئ، والاتعاون مع السلطات، والامتناع عن دفع الضرائب نضالاً مسؤولاً دون إلغاء الآخر بل موجداً ساحة لقاء دون توفيقية كاذبة وضياع للحقيقة

الحقيقة بشأن حياة غاندي الجنسية

ترجمة: عمار كاظم محمد

ليس سرا أن المهاتما غاندي كانت لديه حياة جنسية غير اعتيادية، فقد تكلم بشكل دائم عنه واعطى تفاصيل كانت غالبا تتم بشكل تحريضي على هيئة وصايا لاتباعه حول كيفية التقيد بالعفة. ولم تكن وجهات نظره شعبية تماما فقد كانت غير اعتيادية وغير طبيعية حيث وصف اول رئيس وزراء للهند بعد استقلالها وهو جواهر لال نهرو وصية غاندي للمتزوجين حديثا في ان يبقوا عزابا من اجل ارواحهم.

لكن هناك أمرا اكثر تعقيدا من الذريعة الدينية عن العفة تدور في اعتقادات غاندي فالمواعظ وحتى ممارسته الشخصية غير العادية (التي تتضمن بجانب عفته الشهيرة القيام بالنوم عاريا قرب نساء عاريات بالغات لاختبار قدرته على ضبط النفس) وخلال هذا الكتاب الجديد حول غاندي تم البحث في مئات المصادر من اعماله الكامله ومجلدات كبيرة تتضمن شهادات شهود عيان اصبحت من خلالها التفاصيل واضحة واضافت غرابة اكبر لذلك التاريخ الجنسي. معظم تلك التفاصيل كانت معروفة خلال فترة حياة المهاتما لكن تم تحريفها وطمسها بعد وفاته خلال عملية تعظيم غاندي باعتباره " أب الأمة " لكن المهاتما في الحقيقة كرئيس للوزراء قبل استقلال الهند دعاه ترافانكور " بالرجل الخطر نصف المكبوت والمعتوه جنسيا ".

ولد غاندي في ولاية كوجرات الهندية وتزوج في الثالثة عشرة من عمره عام ١٨٨٣ وكان عمر زوجته كاستوربا اربعة عشر عاما وهو سن ليس بالمبكر وفق معايير ولاية كوجرات في ذلك الوقت وكان للرفيقان حياة جنسية عادية يتقاسمان فيها الفراش في غرفتين منفصلتين في بيت عائلته حيث حملت منه كاستوربا بعد فترة وجيزة.

بعد عامين وحينما كان والده على فراش الموت ترك غاندي سريره لممارسة الجنس مع كاستوربا بينما كان والده يلفظ انفاسه الاخيرة لذلك لحق بالشاب غاندي الحزن والاحساس بالذنب بشكل غير مسبوق وهو ما مثل اشمئزازه اللاحق من " الحب الشهواني" لكونه اصبح مرتبطا بذكرى وفاة والده وعلى اية حال فان آخر طفل لغاندي وكاستوربا لم يولد الا بعد خمسة عشر عاما عام ١٩٠٠.

وفي الحقيقة لم يطور غاندي موقفه الانتقادي من الجنس (وبالتأكيد لايعني الجنس المتعلق بالزواج)

حتى بلغ الثلاثين من عمره حيث تطوع في هيئة الاسعاف لمساعدة الامبراطورية البريطانية في حروبها في جنوب افريقيا واثناء المسيرات الكبيرة نحو المدن المأهولة بالسكان بشكل متناثر في الحرب البويرية وفي انتفاضات الزولو تأمل غاندي فيما يمكن أن يقدمه من خدمة للانسانية بشكل افضل وقرر ان ذلك يتم من خلال اعتناق الفاقة والعفة. في سن الثامنة والثلاثين عام ١٩٠٦ اخذ قسم البراهماتية والذي يعني ان يعيش حياة روحية وهي عادة تدعى بالعفة والتي بدونها تعتبر الحياة مستحيلة بالنسبة للهندوس.

لقد كان من السهل على غاندي اعتناق الفقر والفاقة لكن العفة هي التي طالما راوغته لذلك قام بوضع سلسلة من القواعد المعقدة التي يستطيع من خلالها القول بأنه كان عفيفا بينما يظل منشغلا بمحاوراته ورسائله وتصرفاته الجنسية.

وبحماسة فترة التحول بعد عام من ترديده القسم اخبر قراءه من خلال جريدته المسماة " الرأي الهندي" ان من واجب كل هندي طيب القلب ان لا يتزوج وان يمتنع عن الاتصال الجنسي مع زوجته في حالة كونه عاجزا عن القيام بمتطلبات الزواج.

في تلك الاثناء كان غاندي يتحدى ذلك التقشف بطريقته الخاصة حيث شيد معتزله الذي بدأ فيه اولى تجاربه الجنسية حيث كان الاولاد والبنات يستحمون وينامون سوية فيه بشكل عفيف بينما يعاقبون عند اي حديث عن الجنس.

كان النساء والرجال يتم عزلهم عن بعضهم البعض وكانت نصيحة غاندي هي ان لايترك الازواج لوحدهم مع زوجاتهم وحينما يشعرون باي عاطفة فيجب ان يأخذوا حماما باردا لكن تلك القواعد بطبيعة الحال، لم تكن تطبق عليه فقد كانت سوشيلا نايار اخت سكرتير غاندي الجذابة وطبيبته الشخصية تلازم غاندي منذ طفولتها وكانت تنام وتستحم معه وعندما سئل عن ذلك فسر الامر بقوله بان الحشمة بينهما لم تهن حيث انها حينما كانت تستحم كنت اغلق عيني بشدة مضيفا بقوله "انني كنت لا ادري ان كانت تستحم عارية ام بملابسها الداخلية وربما كنت اعرف من الصوت انها كانت تستخدم الصابون " مثل تلك الخدمات الشخصية لغاندي كانت ترى كثيرا كاشارة للتفضيل وكانت تثير الغيرة بين نزلاء معتزل اشرم الذي شيده غاندي.

حينما غدا اكثر تقدما في السن وبعد وفاة زوجته كاستوربا كانت لديه نساء اكثر من حوله ويلزم تلك النساء بالنوم معه طبقا لقواعد معتزل اشرم حيث يحرم ان تنام النساء مع ازواجهن وكان لدى غاندي عدة نساء في سريره منهمكات في تجاربه التي تبدو من خلال قراءة رسائله وكأنها تمارين في العري او اي نوع آخر من النشاط غير الاتصال الجنسي.

لكن الملاحظات الواضحة الكثيرة في تلك الرسائل قد تم تشويهها وتبقى بعض الملاحظات المعذبة مثل قوله " كان نوم فينا معي يمكن أن يدعى حادثا وكل ما استطيع قوله انها نامت بشكل قريب جدا مني ". ربما يفترض من يدخل روح تجربة غاندي ان ذلك يعني شيئا اكثر من مجرد النوم بشكل قريب جدا منه. لايمكن ذلك وربما يتخيل المرء مع الأخذ بنظر الاعتبار " التعابير اللاارادية " والتي كان يشكو منها غاندي خلال تجاربه كثيرا منذ عودته الى الهند وكان لديه اعتقاد سحري في قوة السائل المنوي فحسب قوله " ان من يحافظ على سائله الحيوي يكتسب قوة لاتنضب ".

في تلك الاثناء بدا ان تلك الاوقات الصعبة كانت تتطلب المزيد من الجهود للثبات الروحي ولذلك كانت تستلزم نساء اكثر جاذبية.سوشيلا التي كانت عام ١٩٤٧ بعمر ٣٣ عاما كانت على وشك ان تستبدل من فراش غاندي البالغ من العمر ٧٧ عاما بامرأة اخرى تبلغ نصف عمرها بينما في البنغال

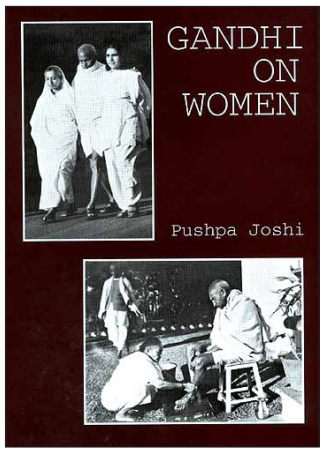

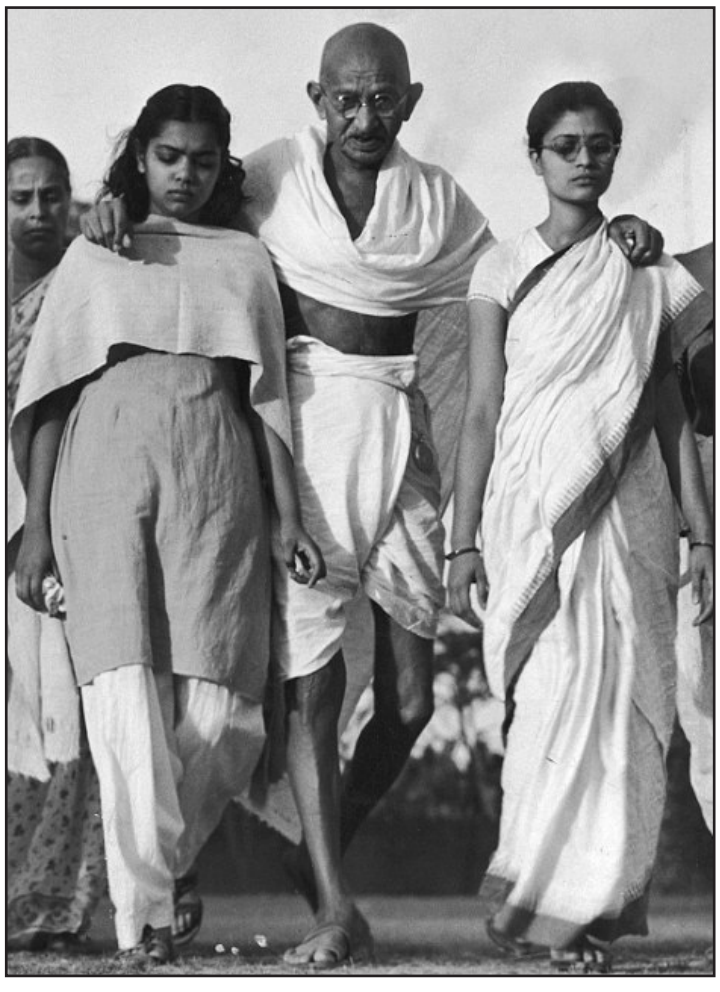

لرؤية اي راحة يمكن ان تقدم في اوقات العنف الدائر في التحضير للاستقلال دعا غاندي حفيدة قريبه مانو البالغة من العمر ١٨ عاما لكي تنام بالقرب منه وقد اخبرها قائلا " اننا يمكن ان نقتل من قبل المسلمين لكن يجب ان نضع نقاوتنا في اقصى اختبار حتى نعرف باننا نقدم اصفى التضحيات لذلك يجب علينا ان ننام عاريين ".

سلوك كهذا لم يكن جزءاً من الاختبارات المقبولة لدى البراهما حيث انه الان يصف اعادة اختراع فكرة البراهما كقوله " المرء الذي ليست له نية شهوانية والذي يثبت خدمته للرب يصبح برهانا ضد الانبعاثات الواعية او اللاواعية فمن يكون قادرا على النوم عريانا مع امرأة عارية مهما كان جمالها بدون ان يبدي مطلقا اي اثارة جنسية...والذي يتقدم يوميا وبثبات نحو الرب والذي لديه كل فعل يعمله تماشيا مع تلك النهاية وليس اي شيء آخر " يستطيع القيام بكل شيء طالما لم تكن هناك نية شهوانية ظاهرة " غاندي يعيد هنا تعريف مفهوم العفة طبقا لممارساته العملية.

الى هذا المدى كان تفكير غاندي روحيا لكن في الدوامة التي كانت الهند على وشك دخولها باقترابها من الاستقلال كان غاندي يأخذ على عاتقه ان ترى تجاربه الجنسية باعتبارها ذات اهمية وطنية وكما يذكر ذلك بقوله " لقد اقمت تلك الصلاة الحقيقية للبلاد والتي تتطلب تلك المراعاة " وبينما كان غاندي يصبح اكثر جرأة في استقامته الذاتية كان سلوكه يأخذ نقاشا على نحو واسع وانتقد من قبل افراد عائلته والسياسيين البارزين.

وكان البعض من موظفيه قد قدموا استقالاتهم بضمنهم اثنان من محرري صحيفته بعد ان رفضا طباعة اجزاء من مواعظ غاندي تتناول تفاصيل نومه. لكن غاندي وجد في طريق الاعتراضات عليه سببا آخر للأستمرار قائلا " أنا لا ادع مانو تنام معي، لكنني اجده ضروريا لكي يعلن حتى لايكون اشارة ضعف ضدي ".

كانت ابها البالغة من العمر ثمانية عشر عاما زوجة احد احفاد اقربائه كانو غاندي انضمت مرة اخرى الى حاشيته في التحضير للاستقلال عام ١٩٤٧ وفي نهاية شهر آب كان غاندي ينام مع ابها ومانو في ذات الوقت وعندما اغتيل في عام ١٩٤٨ كانت مانو وابها بجانبه على الرغم من كون مانو كانت رفيقته الثابتة في سنواته الأخيرة.

وقد ازاح افراد العائلة مانو من المشهد لكن غاندي كتب الى ابنه قائلا " لقد طلبت منها أن تكتب عن مشاركتها الفراش معي" لكن حماة صورة هذا الزعيم كانوا متلهفين لازالة ذلك العنصر عن حياة زعيمهم العظيم. وقام ديفاد ابن غاندي بمصاحبة مانو الى محطة دلهي حيث استغل الفرصة واصدر اليها الأمر بالسكوت.

حين تم استجواب سوشيلا في السبعينيات افشت ان ارتفاع هذا النوع من اسلوب الحياة لمستوى تجربة البراهما كان ردا على منتقدي هذا السلوك قائلة " لاحقا حينما بدأت الناس تسأل عن اتصاله الجسدي مع النساء مع مانو وابها وانا تطورت فكرة البراهما، في الايام الاولى لم يكن هناك سوأل حول دعوة ذلك كتجربة للبراهما لكنه كان يبدو كما لو ان غاندي كان يعيش على هواه لكنه اصبح كذلك فقط حينما اصبح ذلك التحدي المفضل لديه ذا نظام كوني من الجوائز والمنافع ومثل العديد من الرجال العظماء ابتكر غاندي ما يوافقه من القواعد.

وبينما كان النقاش العام حول ذلك الموضوع مضر بسمعته حينما كان حيا لكن سلوك غاندي الجنسي قد اهمل طويلا بعد موته ويمكننا الان فقط ان نجمع المعلومات حول صورة الاعتقاد الذاتي المفرط لدى غاندي وقوته الجنسية وما هو مأساوي بالنسبة له هو ان يستثنى من السياسيين في فترة الاستقلال. ان حفظ سائله الحيوي لم يبق الهند سليمة وكان اصحاب النفوذ في احزاب الكونغرس الهندي هم الذين استمتعوا بشروط المفاوضة حول حرية الهند.

عن: صحيفة الاندبندنت

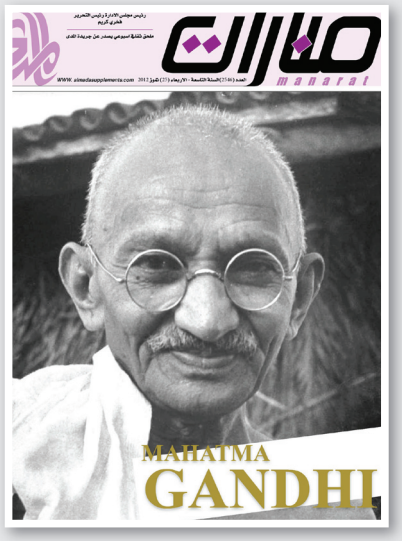

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
خالد خضير

التدقيق اللغوي
محمد حنون

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

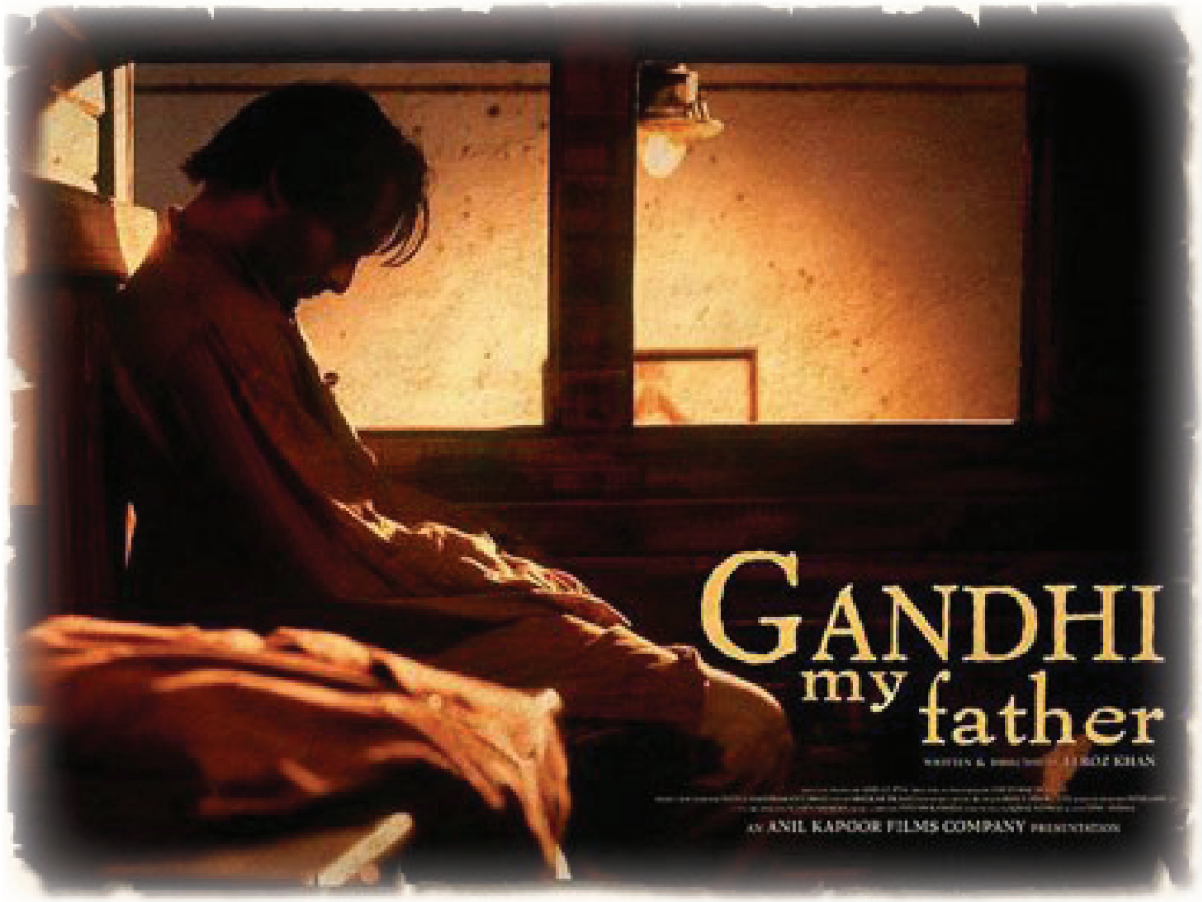

الوجه الآخر للمهاتما غاندي

إنه الأب المقدس للشعب الهندي وهو شخصية معروفة عالمياً ومحترمة جداً ولكنه ذاق فشلاً مريراً كأب وخصوصاً بعلاقته مع ابنه الأكبر «حارلال».

الفيلم «أبي غاندي» الذي أنجز مؤخراً يعرض لنا الوجه المعتم من العظمة والعلاقة المتوترة بين المهاتما غاندي وابنه الأكبر «حارلال» الذي ثار ضد أبيه واعتنق الاسلام قبل موته كسكير، قال حارلال: «إنه الأب الأعظم للأمة الهندية ولكن أيضاً الأب الذي لم أكن أتمناه». يظهر الفيلم حقائق ولايضع أي محاكمات، كانت علاقة صعبة بين غاندي وأكبر أولاده الأربعة، غاندي رفض طلب ابنه ليذهب إلى لندن ليدرس القانون كما فعل هو، مانعاً ابنه من متابعة دراسته الأكاديمية وبرأيه كان دفاعاً مشرفاً لتحدي الثقافة الغربية ولم يؤمن بمطلب ابنه للاستعداد للحياة ومتابعة الصراع من أجل الحرية، حينها ثار حارلال ضد أبيه وفيما بعد اعتنق الإسلام وأصبح اسمه «عبدالله غاندي» وهذا الأمر فُسر على أنه ثورة ضد أبيه أكثر من اهتداء ديني وأيضاً بحثه عن زوجة أخرى بعد موت زوجته اعتبره الأب شيئاً غير منطقي. في إحدى رسائله المرة إلى أبيه كتب حارلال:«في مختبرك للتجارب لسوء الحظ أنا الحقيقة الوحيدة التي بدت خطأ» وكتب عن الرجل الذي عرفه الهنود كأب «كان الأب الأعظم لكم ولكن كان الأب الذي لاأتمناه». استنكر غاندي بشكل علني عادة الشرب عند أبيه وأيضاً عادة زيارة البيوت السيئة السمعة «بيوت الدعارة» عندما أصبح حارلال مسلماً كتب غاندي بأن ردة حارلال ليس خسارة للهندوس وليست إضافة للإسلام وصرح أنه بسبب مشاكل مالية «ديون» تحدث عن اعتناق المسيحية. عبر غاندي عن حالة ابنه من ناحية تغيير ديانته «إذا كانت هدايته من كل قلبه وخالية من أي اعتبارات مادية ليس لدي اعتراض، ولكن للأسف لازال متعلقاً بالأمور الدنيوية وإذا تغير أتمنى أن يكتب لي ليفرح قلبي». لام غاندي نفسه لفشله بعلاقته مع ابنه وكانت خيبة الأمل بالنسبة إليه كبيرةكأنها جرح عميق ينزف من قلبه.. وذلك بسبب الحياة العشوائية التي عاشها ابنه لاعتناقه الإسلام كثورة ضد أبيه ثم ارتداده إلى الهندوسية ككفارة وأخيراً إدمانه حتى الموت. يبدو أن الرجل العظيم المهاتما غاندي استطاع أن ينقذ روح الأمة الهندية ولكنه لم يستطع إنقاذ روح ابنه.

عن *الأنديبندنت*

غاندي وستراتيجية اللا عنف الإيجابي

كاظم الحسن

كان غاندي يقول: (ان عدم العنف هو اعظم القوى في خدمة الجنس البشري.. انه اقوى من اقوى سلاح للتخريب ابتدعته عبقرية الانسان).

ولكن أين هذا الصوت الانساني وسط ازيز الطيران وجعجعة السلاح ودوي القنابل والتسابق المحموم في صنع وامتلاك الاسلحة الفتاكة والمدمرة.

ان القرن العشرين كان الاكثر دموية في التاريخ وصبغت صفحاته باللون الاحمر وتلاشى حلم الانسان باقامة عالم أكثر سعادة ورفاهية وينعم بالامن والسلام ولكنه قرع ناقوس الخطر، بعد امتلاك بعض الدول السلاح النووي فلم يعد فرض الافكار ممكنا ازاء هذا التهديد المرعب الذي داهم البشرية وكانت لحظة نهاية الانسان السوبرمان أو الانسان الكامل ونهاية المشاريع الكبرى ولاحلام الرومانسية التي قادت البشرية الى جهنم الصراعات والحروب العالمية التي احالت الحياة الى جحيم لا يطاق.

ففي الوقت الذي ينبعث فيه صوت خافت لغاندي عن السلام وضرورة التحرر من الخوف، الذي يرى ان العنف ليس سوى الوسيلة للصراع ضد سبب الخوف! نرى هناك من يدعو الى الانسان السوبرمان أو الرجل المتفوق في الاعتبار النازي الذي يرى ان هذا النوع من الرجال نادر الوجود بسبب فوضى التناسل، فانه سوف ينتظم في المستقبل عندما ينشأ من العرق الآري. وهو العرق البشري الوحيد السامي. ذلك الجيل المتوفرة فيه الصفات البشرية العليا.

والديمقراطية هي السلطة القائمة على رضا الشعب غير صالحة لوجود السوبرمان ذلك ان الجماهير قد لا ترضى بحكومة تصنف وتنظم التناسل!

ولابد من وجود دولة يندمج فيها الفرد اندماجا كليا وتكون هي المثل الاعلى والعقل المدبر.

هذه هي اهم عناصر الدعوة النازية التي ظهرت معالمها الاولى في كتاب ادولف هتلر (١٨٨٩ . ١٩٤٥م) "كفاحي

بمثل هذه الافكار اخذ يحلق الانسان بأجنحة الشمع بعيدا عن ارض الواقع بحثا عن فردوسه المفقود أو جنته المستحيلة، فأخذت الاوهام تعصف بمشاريعه وامواج الخيال الجامح تتلاطم به، شاهرا سيفه وفارضا تلك الهذيانات على الناس بالقوة التي تحولت الى شرارة منها انطلقت الدعوات الى سفك الدماء وتقديم الشعوب قرابين لها باسم الأيديولوجيات المهومة التي تسعى الى الكمال البشري

والانسان السوبرمان لا يوجد الا في جزيرة (اوتوبيا) وهي المكان المنشود لهناء البشر وتعني باليونانية (ليس في مكان ما) جعلها توماس مور عنوانا لكتابه الذي صور فيه دولة مثلى تحقق السعادة للناس وتمحو الشرور وهي جزيرة خيالية.

يقول جورج طرابيشي: (ان افول العنف السياسي في بلدان الحضارة الادبية سبقه افول للايديولوجيات التي شرعت العنف، وفي مقدمتها الأيديولوجيات القومية والأيديولوجيات الماركسية، فالقرن التاسع عشر الاوروبي استظل بفيئ شجرة أيديولوجية كبرى هي القومية وهذه النزعة المرتبطة بارادة القوة والعظمة والغيرة والكبرياء الشوفينية والحلم بالتوسع، كانت حاملة لبذور منازعات اقليمية وحروب استعمارية.

ان استقرار النظام الديمقراطي في اوروبا أتاح لها أن تطور آليات لاحتواء العنف ولن تخلق اطارا مؤسسيا لتسيير المنازعات وشرعنة الصراعات السياسية فالعنف الداخلي لا ينفجر الا اذا حبس الصراع السياسي في مرجل محكم الاغلاق.

الا ان الديمقراطية في اوروبا ما كان لها ان ترى النور وتصبح مصدر اشعاع في العالم لانها حققت مجتمع الوفرة لو لا مشروع مارشال.

يرى طرابيشي (ان اوروبا خلال الثلاثين سنة التي تلت مشروع مارشال تمكنت من مضاعفة ثروتها ثلاث مرات، وصارت قابلة للتوصيف بأنها مجتمعات غنية مقارنة بالمجتمعات الفقيرة فيما بات يعرف بالعالم الثالث والحال ان الرخاء دائما كان عاملا مخففا بل مذيبا للعنف فالفقير يندفع للقتال بصورة اسهل لانه ليس لديه ما قد يخسره اذا قتل سوى بؤسه، أما الغني فحرصه على فردوسه الارضي يجعله اشد حرصا على الحياة والعيش اطول مدة ممكنة.